

نقـولا يـوسف

الشاعر الكاتب محمود عماد

بقلم نقولا يوسف

* * *

شهد الشاعر ، الكاتب الناقد ، محمود عماد من شعراء مصر البارزين في العصر الحديث، خلال رحلة حياته التي استغرقت اربعة وسبعين عاما (١٨٩١ ـ ١٩٦٥) ، الوانا من احداث القرن العشرين ، وتقلبات الدنيا، وتطورات المجتمع ، وبزوغ نجوم في الاداب والفنون في بلاده وخارجها، فصور انطباعاته وتجاربه ومشاهداته ، وصلاته بمن حوله من الناس ، في نحو ثلثمائة قصيدة ومقطوعة من الشعر « الذاتي » و «الموضوعي» ، والقصصي والوجداني تضمها ثلاثة دواوين مطبوعة .. والى جانب ما نشر له من احاديث ومقالات نثرية ومقدمات للكتب ..

والحق لقد نال شاعرنا في بعض ايامه تقدير بلاده وادبائها .. ثم .. كما جرت العادة مع جل الراحلين ، توارت سيرته في ضبابة النسيان ، واحتجبت خلف سدول الزمان ..

ولد الشاعر محمود محمد عماد في ٧ من اغسطس ١٨٩١ بقرية « ميت الخولي عبد الله » جنوبي مدينة دمياط .. ولم تزل في مكانها القديم على ضفة النيل الشرقية ، وسط المزارع والحقول ، يسكنها اليوم سبعة الاف من المشتغلين بفلاحة الارض .. ولم تزل تجتر ذكريات ماضيها منذ ان دارت هنا الموقعة الفاصلة بين الجيش العربي ، وجيش لويس التاسع ملك فرنسا عام ١٢٥٠ م واسر يومذاك لويس ورجاله ..

وقد توطنت اسرة « عماد » هذه الناحية منذ الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، واشتغلت بزراعة ارض تملكتها هناك ، وما برحت سلالتها تتوارث ما بقي منها .. ومجمل قصة هذا الاستيطان ان جد الشاعر « محمد حسن عماد » كان « ماموراً لضبطية » النجيلة (بلدة شرق قناة السويس) فلما بلغ سن التقاعد عام ١٨٦٧ كافأته الحكومة على خدمته الطويلة ، فمنحته مزرعة « عزبة » مساحتها ٧٥ فدانا من اطيان ناحية « البجلات » بالدقهلية ـ يزرعها ، ويعيش بقية حياته من ريعها .. فانتقل اليها وتوطنها هو وابناؤه ثم احفاده .. وكان من ابنائه محمد عماد والد الشاعر محمود عماد .. (١) . وولد محمد عماد عام ١٨٧٢ ، وتلقى تعليمه الابتدائي ثم تزوج عام ١٨٨٧ بفتاة من اهل العزبة المجاورة وانجب منها سبعة من البنين والبنات اكبرهم شاعرنا محمود عماد .. ثم رأى ان ينتقل الى القاهرة ، ليلتحق باحدى وظائف الحكومة ، ويدخل اولاده المدارس ، فرحل اليها نحو عام ١٩٠٢ وعين في اوائل ١٩٠٤ كاتبا « بقلم افرنجي الداخلية » او قلم الترجمة .. وعاش في اسراف وتبذير حتى بدد جل ما ورثه عن ابيه وركبه الدين .. ثم مات في ٢٧ نوفمبر عام ١٩٢١ ودفن بناحية زين العابدين بالقاهرة ، وخلف لاسرته ٢٣ فدانا وقطعتين من ارض البناء اشتراهما قبيل وفاته بناحية « كوبري القبة » بالقاهرة ، حيث سكن الشاعر واسرته طويلا ، وما زال بعضها يعيش هناك .. ولم يستفد محمود عماد بما ورثه من ارض مثقلة بالديون ، مقسمة بين الوارثين ، يشرف عليها غيره في البلدة ، واعتمد في عيشه واعالة افراد اسرته الكثيرين على مرتبه من وظيفته بوزارة الاوقاف وهي الوظيفة التي كان يعدها سجنا وقيدا ..

وها هو منذ ولادته بقرية « ميت الخولي عبد الله » عام ١٨٩١ يقضي طفولته وصباه في الريف يدرج بين الحقول ، ويعايش الفلاحين .. وفي نحو الخامسة من عمره يرسله والده الى احد « كتاتيب » الزرقا ـ البلدة القريبة من قريته ـ ونرى في احد احاديثه فيما بعد صورة لطفولته هناك حيث يقول (٢) :

« كنت وانا في الرابعة او الخامسة من عمري ، وكنت اقيم مع اسرتي في مزرعة لنا تبعد قليلا عن بلدة الزرقا بمديرية الدقهلية ، وقد ادخلوني مدرسة اولية بهذه البلدة .. ولبعد الشقة علي ، شروا لي حمارا صغيرا « جحشا » ـ وكنت اركبه صباح كل يوم ، وتحتي خرج ذو عينين صغيرتين ، اضع في احداهما كتبي وغذائي ، وفي الاخرى غذاء الجحش من دريس او تبن وفول ـ ثم اصطحبه ويصطحبني حتى نصل الى المدرسة ، فاربطه في ساحتها مع اخوانه ، ثم امضي اليوم مع اخواني الى وقت الانصراف ، فاركبه واعود به الى منزلي . وكانت حداثة سني وحداثة سن الجحش ، وطول اصطحابنا وتلازمنا اسبابا لتوثيق عرى الحب بيننا ... »

وعن نشاته الاولى ، وما تركت في نفسه من اثار ، يحدثنا كاتب في مقالة عنه (٣) :

« .. وحكاية تربيته من غريب الحكايات ، كان ابوه من اهل الحفاظ الوعر ، به بعض الاضطراب في الاعصاب ، فلم يدع للطفل شيئا من الحرية ، فشب « محمود » على نظام كنظم العسكر دقة وصرامة وجدية ، فغلبت عليه السوداء . حدثنا قال : « لم اعرف في طفولتي لذة اللهو كما عرفها الاطفال . فلما شببت واشتددت لم ادر ما اللذات . على ان هذا لم يخلني من معاناة اشد التاثيرات وابعدها في الفور واطولها في الاجل .. »

ثم يصفه صاحبه بعد ذلك :

« .. فطرة هادئة الظاهر ، وفي باطنها انفعالات شديدة كالبحر ، يسجو سطحه ، ومن تحت السطح تيارات قوية . وقامة اميل الى الطول سوية ، لا هي بالنحيلة ولا الممتلئة ، تسير بنظام ، وتجلس بنظام كانما غلفها في الحالين غلاف من الوقار .. ووجه يستوقف نظرك بعينين حادتين براقتين بينهما تغضينتان تحت انف بعرنيته بعض الشمم ، فيه كل الدلالات الفرينولوجية على غلبة الحزن على طبع صاحبه .. وقد اثر الماضي في محمود تاثيرا عصبيا وصحيا ، يحاول اليوم ان يلطفه ان لم تتح ازالته .. فمن امثلة هذا التاثير تاذيه بالنور الباهر ، ووحشته

ورهبته في الظلام الحالك .. وفراره الى حيث يكثر النبت والماء .. وحبه للعزلة والانفراد جهد الطاقة . غير ان صاحبنا من الذكاء ودقة الحس والشعور ولطافتهما على ما تشاء يطيب للجالس حديثه ، وتصدق ملحوظته ، وتبدو بشاشته ، فاذا ترك وشانه وجم واكتاب .. »

ثم كان لانتزاع الصبي من احضان الطبيعة وحياة الريف ، ليغوص في صخب المدينة الكبرى وزحامها ، ان لازمه الحنين الى مسقط رأسه ومسرح طفولته وصباه فكان يزوره في العطلة الصيفية من كل عام ، ويتردد بين الحقول وبين البحيرة والبحر القريبين .. وكثيرا ما صور حنينه وذكرياته في اشعاره ، او ردد في حديثه لابنه الشاعر صورا بعينها يود لو عادت حقيقة مجسمة ، حقول القمح والريح تعبث بسنابله ، ومراكب الصيادين على بحيرة المنزلة ، والبحر الذي يقول عنه في مقدمة ديوانه الاول : « وليس كمنظر البحر ما يحفزني الى قول الشعر لا في البحر وحده ولكن في شتى المناحي » .. ولقد استاثر البحر وملهماته باثنتي عشرة لوحة شعرية بارعة بين قصائد ديوانيه الاول والثاني ، وضع لها من العناوين : « روح البحر » ، هواجس الغروب»، « البحر الحيران » ، « توديع البحر » ، « حديث الموج » ، « في القارب » ..

وكان محمود عماد قد التحق في صباه عام ١٩٠٣ بمدرسة «الشيخ صالح ابي حديد » بحي الحنفي بالقاهرة ونال منها « الشهادة الابتدائية » عام ١٩٠٧ وكان متفوقا دائما في فرقته حتى في علم الحساب الذي كان يمقته في وظيفته ويكره ارقامه .. ثم لحق باحدى المدارس الثانوية الاهلية بالقاهرة ، وبقي بها ثلاث سنوات ، انقطع بعدها عن المدارس والتعليم ، وخرج ليكسب عيشه من وظيفة «كتابية حسابية » صغيرة بديوان الاوقاف .. ولكنه رغب في استكمال ثقافته الخاصة ، فكب على مطالعة الكتب ، والتحق طالبا بالقسم المسائي في « الجامعة المصرية » القديمة ، مزاملا يومذاك الطلاب : طه حسين ، ومنصور فهمي ، واحمد حسن الزيات ، واحمد امين .. وغيرهم ...

كان في الثامنة عشرة من عمره يوم التحق في اغسطس ١٩٠٩ بهذه الوظيفة في « ديوان عموم الاوقاف » بالقاهرة ـ (نظارة الاوقاف ثم وزارة الاوقاف ، فيما بعد) ـ وهناك تدرج في سلك الوظائف الحسابية طوال اثنين واربعين عاما ـ اي الى سن التقاعد والمعاش ـ من موظف صغير في « قلم الحسابات » الى « رئيس اقلام الاوقاف الاهلية » الى « سكرتير الوزير » الى « وكيل مراقبة حسابات الوزارة » ، واخيرا الى « مدير مراجعة ايرادات ومصروفات وزارة الاوقاف » .. وكلها اعمال لا تمت الى عالمه الادبي الشعري بصلة ، وهو من ينفر من الحساب والارقام ويقول : « لا فرق عندي بين مجموعة ارقام او مجموعة من العقارب والثعابين ـ ومع ذلك فقد كانت الاعمال التي زاولتها طول مدة خدمتي اعمالا حسابية .. »

في سجن الوظيفة قضى شاعرنا محمود عماد زهرة العمر .. وعاش ايامه بين جدرانه متبرما بالقيد ، والعمل المطرد النغم ، والاضابير التي تسعى فوقها الارقام ـ الثعابين ـ « وكان الرجل الابي النفس الذي لا يقبل الهوان ، ولا يرضى ان يكون بطانة لاحد ، ويكره التزلف .. ولا ريب ان ذلك كان من اسباب تخلفه في ميدان الوظائف في عهد لم ترج فيه اخلاق رجل كمحمود عماد . ولهذا عاش غبين الحظ في الدرجات وفي الترقيات ولم يرق خلال اثنين واربعين سنة الا اربع مرات فقط» (٤).

حتى اذا ما احيل الى التقاعد يوم ٧ من اغسطس ١٩٥١ وخرج يتنسم جو الحرية ، ويرجو التفرغ للادب وحده ، ويعود الى مجالس الشعر والشعراء ، كان الشباب قد ولى ، واخذ « العائد » ينشد (٥):

بعد اثنتين واربعين ... حلوا القيود عن السجين
فمضى بارض الله يعدو ... في الشمال وفي اليمين
ما ان يصدق ان حل ... قيوده عين اليقين
عاد الظعين لاهله ... يحتثه فرط الحنين

اهلا به من قادم ... لا ، لا ، فما هو بالظعين
كان الظعين فتى ، وذا ... شيخ بفرته غضون
لكن باي الزاد قد ... عاد الظعين الى البنين
نادى : بخير الزاد ـ بالتق ... ـوى ، بكنز القانعين
قال البنون : اذن سعد ... نا ـ فافتح الكنز الثمين
فاجاب : نادوا (سمسما) ... ام (سمسم) في الغائبين

وقبل ان يخرج من هذا السجن الروحي ، كنت تصادف في الكثير من ابيات شعره صورا يعبر بها عن ماساته في صراعه النفسي الطويل الامد بين القيد والتحرر ، ثم بين ابائه وكرامته ـ وبين ما يراه من نفاق وزلفى وهوان ـ ترى ذلك في قصيدته القصصية الرمزية : «عباد الشمس » ـ (جـ٢ ص٧) ـ التي يصور فيها طاووسا اغرم بالشمس ورآها امنية النفس « ويقول لها: هل من قرب، فاطير اليك مع السرب؟»:

فلقد ضقت بسكنى الترب ، وتبرمت بعيشي الوكس
كم من حدات للقمم ، طارت وصقور او رخم
وهي الاكالة للرمم ، المستسقية من النجس
افيسمو القبح ويرتفع ، ويحط الحسن ويتضع

وترى ذلك في قصيدته : « المقصف المنهار » ـ (جـ٢ ص ٣٢) ـ عن الحظوظ في الدنيا .. وغير هذه وتلك ..

وان ما خفف عنه وطاة هذه الحياة الوظيفية ، كان تساميه على ضيقه بنزعته الادبية الشعرية ، وتحليقه بأحلامه خارج الواقع المرير ، فهو يقرأ الكتب ودواوين الشعر، ويتأمل صور الكون، ويفلسف الحياة، وينفس بشعره عن مكبوتات نفسه ..

كذلك هونت عليه حياته هذه في « ديوان الاوقاف » زمالته لعدد من ادباء عصره وشعرائه ، الموظفين معه هناك .. فصادقهم ، وجال معهم في ميادين الصحف والمجلات ، وساجلهم الشعر ، وبادلهم النقد ، وجالسهم في ندواتهم وقهواتهم خارج العمل ، وتعرف الى اصحابهم الادباء .. وكان من الشعراء الموظفين بالاوقاف : المرحوم عباس محمود العقاد (وقد توظف هناك في عامي ١٩١٢ ـ ١٩١٤) ومحمد مصطفى الماحي (وكان موظفا في هذا الديوان بين ١٩١١ ـ ١٩٥٠) ، واحمد الكاشف ، وعبد الحليم المصري ، وعلي شوقي ، وحسن الدرس ... ومن الكتاب الادباء : محمد المويلحي ، وعبد العزيز البشري ، وكامل كيلاني .. وغيرهم .. (٦) وظل محمود عماد وفيا لهؤلاء الزملاء ولاصدقائهم يرثي من يسبقه منهم الى دار البقاء ، ويكتب عن مؤلفاتهم او يقدم دواوينهم ..

وكان العقاد اقرب هؤلاء الزملاء الى قلبه ، ودامت صلتهما الادبية طوال حياتهما ، وجمعت بينهما مشابهات عدة ، فهما متقاربان في السن (يكبره العقاد بسنتين) ، وفي الميول الادبية ، والمبادىء الانسانية .. وكلاهما كاتب شاعر ينظم الشعر العمودي التقليدي الرصين ، الداعي الى الصدق والابتكار ، وتقديم المعاني والافكار .. كما كان كلاهما عصاميا في التثقف الذاتي والعيش المادي ، مجاهدا بقلمه ومثله حتى نهاية الدرب حين ودع العقاد دنياه عام ١٩٦٤ ولحق به صديقه

---

١ ـ عن المستندات المحفوظة لدى محمد محمود عماد نجل الشاعر محمود عماد ـ (والبجلات منشأ الكاتب دكتور احمد الشرباصي) .

٢ ـ من اجابة على سؤال اذاعي : ما الحب الذي لا تنساه ـ فكان حبه لجحشه ـ مقدمة ديوان عماد : «عود على بدء» ـ ١٩٦٧ ص ٣٢ .

٣ ـ جريدة « الاتحاد » ٢٠ ـ ٩ ـ ١٩٢٥ لمحرر بلا توقيع .

٤ ـ مجلة « الفكر المعاصر » مارس ١٩٦٦ ص ١٠١ من كلمة عن محمود عماد لابراهيم سعفان .

٥ ـ ديوان عماد ـ جـ٢ ص ٨٢ .

٦ ـ تحدث الشاعر الماحي عن ذكريات ديوان الاوقاف ومجمع ادبائه في ديوانه ١٩٦٨ من ص ٤٧١ .

عماد عام ١٩٦٥ مخلفين بعدهما من رموز الوفاء تلك القصائد والمقالات المتبادلة بينهما .. فهذه مناجاة شعرية ينظمها عماد بعنوان : « الى الاستاذ العقاد » (جـ١ ص ١٥٤) مطلعها :

يـا حزيـن النفس اعطيت مناها   فاغنـم الفـرصـة حتى منتهاها
لا تنفصهـا اختبارا واكتـاهـا   ان من خاف مـن الجـن يراهـا

ويجيبه العقـاد بقصيدة مطلعها :

يـا صديق النفس من عهد صباها   نصحك الصادق لو تشفى شفاها
محنـة تبلـغ فـي يـوم مداهـا   مـا تراني صانعـا ـ او ما تراها

وحين ينشر العقاد كتابه : « مطالعات في الكتب » عام ١٩٢٤ ، يبادر عماد الى نقده بجريدة « البلاغ » ، وعند ظهور ديوان العقاد عام ١٩٢٨ يستقبله عماد بمقالة اخرى في البلاغ .. ولدى صدور كتـاب العقاد « ساعات بين الكتب » ـ ١٩٢٩ ـ يحييه عماد بقصيدة مادحة (٧) .. فاذا ظهر ديوان عماد ـ الجزء الاول ١٩٤٩ ـ قدمه العقاد بكلمـة يحلل فيها شعره ويذكر ميزاته ويقول :

« .. وقد عرفنا شاعرنا المجيد منذ فجر الشباب ، فعرفناه كمـا قال عن نفسه ، وكما قال عن شعره ، يقول مـا يناجي بـه وجدانه ، ويوافق سجيته وسجية امثاله ونظرائه .. واصح مـا يفهم من هـذه الصفة التي اتسم بها شعر هذا الديوان انه مناجاة خاطر لخاطـر ، ومطارحة قريحة لقريحة ، وليس هو باعلان ولا بدعوة ملحة تلاحـق الناس لتطرق عليهم ابوابهم ، وتستثير منهم مكامن الشهوات والاهواء.

ولكن لا يفهم من هذه الصفة بحال اننا نقرأ هنا شعرا منزويـا عن الدنيا ، معتزلا لمن فيها . فاننا في الواقع لا نعرف ديوانا ادل على زمنه وعلى اهله من ديوان صديقنا عماد . لان احداث عصره شأن مـن شؤون نفسه ، وعارض من عوارض حسه ، فلا تفوته كشوفه العلمية ، ولا طوارقه السياسية سواء منها مـا وقع في بلده وبين قومه ، ومـا وقع في بلاد العالم باسره .. » .

ويبلغ العقاد السبعين من العمر عام ١٩٥٩ فيحييه عماد بقصيدة : ويجيبه العقاد بمثلها .. وعند وفاة العقاد في مارس ١٩٦٤ يرثيـه شاعرنا بقصيدة عامرة بتقدير جهاده كاتبا وشاعـرا ومؤلفـا ومرشدا ، وينشرها بعنوان « عباس محمود العقاد يخلي ميادينه » (٨) .

وفي سياق التبادل النقدي بينه وبين صحابه الادباء ، كتب محمد صادق عنبر مقدمةلقصة عماد المنظومة: «كليوبتره ومارك انطونيوس»(٩) في طبعتها الاولى عام ١٩١٧ كما كتب عماد مقدمة لديوان محمد مصطفى الماحي في طبعته الاولى ١٩٣٤ ثم مقدمات اخرى لدواوين : المازنـي (قصيدة) : وعلي شوقي ، وحبيب الفيومي .. ونظم قصيدة في شعر المازني : واخرى تحية للشاعر علي محمود طه لدى ظهور ديوانه: «الملاح التائه » .. وشارك بشعره في مهرجاني شوقي ، وحافظ ابراهيم .. فاذا ما ظهر الجزء الاول من ديوان عماد ، اقام اصدقاؤه حفلة لتكريمه بقاعة « رابطة الادباء » بالقاهرة في مارس ١٩٥٠ ، وخطب فيها ابراهيم ناجي ، وكامل كيلاني ، ومحمود جبر ، وغيرهم واشـادوا بالشاعـر وشعره .. ثم يصور الشاعر العوضي الوكيل في كتابه : « رسـوم وشخصيات » (١٩٦٠) في قوله :

الشاعـر المفتـن فـي تفكيره   والشاعـر المفتـن فـي تعبيره
سر الجمال لـديه ان حديثـه   فـي شعره متدفـق كشعـوره
أعصـى المعانـي طيـع لبيانـه   وشرودهـا سهـل علـى تفكيره
لو ينعت الزهـر النضير بشعره   لشممت بين القول طيب عبيره
لا تسمعـن ان قام يلقي شعـره   القـاؤه يـودي بحسـن بحـوره

وفي البيت الاخير اشارة الى زهد الشاعر في القاء شعره بالمحافل العامة لانخفاض صوته مـن ناحية ، ولنفوره بطبيعته من المواقف التي تتطلب نوعا من « التمثيل » ، الا انه كان يجد نفسه احيانا مضطـرا لان يقف موقف الالقاء في بعض المجالات .. (١٠)

ويعود العوضي الوكيل فيلقي عن محمود عماد وشعره كلمة فـي مهرجان الشعر السابع بغزة ـ في ابريل عام ١٩٦٦ ، وكان شاعرنا قد انتقل الى عالم البقاء (١١) ويذكر ان « في شعر عماد تبدو وحـدة القصيدة ظاهرة .. وفيه صياغة قوية النسج تمتد اصولها الى مـا افاد الشاعر من اطلاعه على الادب العربي القديم ، والى ما تاثر به من مدرسة شوقي .. وان شاعرنا يقظ الحس ، واع لكل ما يدور حوله مـن احداث » . ويعد بعض النقاد هذا النوع مـن قصائد المناسبـات والاخوانيات في شعر عماد من النظم التقليدي ، غير ان شاعرنـا كـان يضمن هذا القليل من شعره ـ كعادته ـ الكثير من الصور الوجدانيـة والتاملية ما يميزه عن امثاله لدى غيره من الشعراء .. في حين تجتمع مقدماته النثرية ومقالاته النقدية في كتـاب مـن كتب النقد الادبـي يرجى نشره يومـا ..

وفي حياة محمود عماد شاغل اخر ، استاثر بالكثير من اهتمامه، وانعكس على بعض شعره الوجداني وجاء من وحي الاسرة .. وكـان شاعرنا قد تزوج في الرابعة والثلاثين من عمره (في ١٢ مارس ١٩٢٥) بصديقة لاخته الصغرى ، رآها في احدى زياراتها لهـا (وهي كريمـة المرحوم احمد حيدر الضابط السابق بالجيش المصري) والهمه هـذا الزواج قصيدتي : « عمر المرأة » و « الضرة الثانية » .. فلما انجب ابنيه : (الشاعر محمد محمود عماد عام ١٩٢٥ ، واحمد عماد ١٩٣٠) اوحت اليه عاطفـة الابوة بقصائد : « ولدي الاول » و « النجم اقرب» و « في الملعب » .. كما تركت وفاة ابنته في طفولتها اثرا عميقا فـي نفسه ، تجلى في قصيدته الفائضة باللوعة (جـ١ ص ٢٩٠) وفيها يقول:

عامـا قضيت ونصف عام فـي النبت انت ام الحمـام
مـا مثـل هـذا العمر يصلح بـين اعمـار الانـام
اتـراك جئـت لغـايـة وفرغت منهـا فـي سـلام
قـد كنت تستدعيـن (بابـا) في الصغير مـن الامور
يـا خزي (بابا) اذ تخلـى عنك في الامـر الخطير
فـراى الـردى يعـدو عليـك ولا دفـاع ولا مـلام

ويحدثنا نجله الشاعر محمد محمود عماد (في رسائل خاصة) ـ عن بر محمود عماد بافراد اسرته جميعا « كان مثلا رائعا في بر الوالـد والديه ، والاخ الاكبر اخوته واخواته ، والقريب اقاربـه .. كان ملاذا نفسيا وروحيا لوالده وكان بارا بوالدته التي كانت تقيم معه حتىوفاتها في الاربعينيات .. وظل من بعد والده (المتوفى ١٩٢١) يعول اخوته الذكور والاناث وهو اكبرهم : معتمدا في هذه الاعباء على مرتبهالخاص، كما قام باعالة اولاد خاله المقيمين معه بالقاهرة ـ وكانت بقـية الارض الموروثة لا تدر ريعا يذكر ويتولىالاشراف عليها عمهالمقيم ببلدة «الزرقا» حتى وفاته عام ١٩٤٢ وهذا العم هو محور قصيدتي الشاعر : « يتيم » (جـ ١ ص ١٤٦) و « الاسد المريض » (جـ ١ ص ١٢٢) ومع ذلك كان عماد يبر هذا العم ولا يحاسبه .. »

كانت تلك الصور التي مرت بشاعرنا في حياته الريفية والحضرية .. والعائلية والوظيفية .. والادبية والفكرية وما تخللها مـن اضـواء وظلمات ، مثارا لشاعرية كامنة في قلبه منذ الطفولة . فراح ينظـم انطباعات قلبه وخلجات فكره في مئات القصائد : وينشرها على مـر

---

٧ ـ انظر « البلاغ » ـ بالقاهـرة ـ في ٣٠ ـ ١٠ ـ ١٩٢٤ ـ و ٧ ـ ٥ ـ ١٩٢٨ ـ وديوان عماد جـ١ ص ٢٤٣ ـ ومقدمة العقـاد جـ١ ص ٣ ـ ١٠ .

٨ ـ المرثية ـ ديوان عماد : « عود على بدء » ص ٧٧ ـ وتحيـة السبعين واجابة العقاد ـ مجلة الهلال ، اغسطس ١٩٥٩ .

٩ ـ اعيد طبعها مع المقدمة في « عود علـى بـدء » ١٩٦٧ ص ١٥٦ ـ ١٨٧ .

١٠ ـ مقدمة « عود على بدء » ص ٣٤ ـ ٣٥ ، ـ ١١ ـ نشرتـه مجلة « الفكر المعاصر » يونيه ١٩٦٦ ص ٨٩ .

السنين في اكثر من خمسين صحيفة ومجلة عربية ، نرى اليوم معظمها مجتمعا في دواوينه الثلاثة المطبوعة .. وكان قد نشر احدى بواكير قصائده عام ١٩٠٩ بصحيفة « الجريدة » التي اصدرها لطفي السيد وعاونه في تحريرها عدد من الادباء البارزين ـ وكان عماد يومذاك في الثامنة عشرة ، ودأب على النشر معهم في تلك الصحيفة ..

وفي عام ١٩١٧ نشر عماد قصةتاريخية او ملحمة بعنوان:«كليوبتره ومارك انطونيوس » وقد اعاد نشرها في ديوانه : « عود على بدء » ـ ١٩٦٧ ـ وقدمها هنا بقوله : « .. وهذه القصة وان جاءت على غرار النظم في ذلك الوقت الذي كانت العناية بالاسلوب هي الفرض الغالب فيه ، الا انها عدت يومئذ محاولة جريئة لادخال القصة التاريخية في الشعر العربي ، ولم يكن له بها عهد من قبل .. ثم قدمتها بكلمة اشرت فيها الى مشاهدتي على الشاشة فصولا عقدها الغربيون ليؤلفوا منها صورة مصغرة لحياة ملكة شرقية . ولما كان الغرب لا يعدل كثيرا في حكمه على نزعات الشرق ، فقد عزوا الى تلك الملكة فعالا لو لم يحمر خدها قبله نضارة لاحمر بعده حياء .. فقرضت هذه القصيدة ناشدا بها الذود عن اثنين : عن ملكة جمعت بين رثاثة الجسم ورثاثة الامم ، وعن الشعر العربي الذي زعموا انه لا ينفسح صدره للقصص انفساح صدر اخيه الاعجمي .. »

وتتشابه ملحمة عماد هذه ، في بعض المواضع ، مع مسرحية الشاعر احمد شوقي : « مصرع كليوبترة » المطبوعة عام ١٩٢٩ فكلا الشاعرين حاول تبرئة ملكة النيل مما نسبه اليها مؤرخو الرومان وغيرهم من وصمات ، ونص على تفضيلها الانتحار على الوقوع في اسر الاعداء ، ثم حدوث القصة في الايام الاخيرة من حياة كليوبترة ، هذا الى تماثل الملحمة والمسرحية في بلاغة العبارة وقوة الصياغة ..

كما نظم عماد قصة شعرية اخرى عام ١٩١٧ بعنوان : « الشاعرة والمصورة » ـ ونشر بعض فصولها بمجلة الهلال عام ١٩٤٨ ثم طبعها في ديوانه (الجزء الاول ـ ١٩٤٩ ص ١٧٢ ـ ١٧٩) وهي من قصص الحب استوحاها كما يقول من شريط سينمائي صامت ، ونظمها جميعا في قافية واحدة وبحر واحد وسياق قصصي مرتبط ..

وفي عام ١٩٤٩ جمع محمود عماد اكثر من مائتي قصيدة مختلفة الاغراض من شعره في « ديوان عماد ـ الجزء الاول » ـ الذي ظهر ذلك العام وكان قد فاز « بالجائزة الاولى من المجمع اللغوي في شعر المدرسة الحديثة الابتدائية عام ١٩٤٧ » ثم اصدر الجزء الثاني من ديوانه عام ١٩٦١ وفاز بجائزة الدولة في عيد العلم الثامن عام ١٩٦٢ ونشر له ديوانه الثالث : « عود على بدء » عام ١٩٦٧ ـ بعد وفاته ـ مصدرا بمقدمة جامعة لنجله الشاعر محمد محمود عماد ، ومشتملا على نحو ثلاثين قصيدة مختلفة الاغراض ، بينها ما اجتمع تحت عنوان: « قصائد من شعر الصبا » ، ومنها ما نظم بعد طبع الديوانين الاولين، ومختتما بملحمة « كليوبترا » السالفة الذكر .. وكان الشاعر قد خطط لنشره قبل رحيله ..

وكان الشاعر قد نشر معظم قصائده التي ضمتها دواوينه الثلاثة ، خلال خمسين عاما ونيف في شتى الصحف والمجلات العربية التي عاصرها ، واحتجب اكثرها في حياته ومنها مجلة « ابولو » في عامي ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ ولهذا ذاع اسمه بين وفرة من القراء ، وكان موضع الدراسة او النقد او الاشارة في عدد من الصحف والمؤلفات النقدية والمحافل الادبية .. (١٢)

وتتناثر في دواوين عماد جميعا ـ الى جانب شعره الوجداني والتأملي والوصفي ، وشعر الطبيعة (والبحر) ، والاسرة والمناسبات وفرة ملتهبة من شعره « القومي » المستوحى مناحداث بلاده وانتفاضاتها في عصره .. ومن شعره « العالمي » المستلهم من الحوادث الكبرى التي وقعت في عهده ، وقد تحول معظمها الى صور تاريخية خالدة .. ومن ذلك الشعر القومي والوطني نقرأ قصائده المعنونة : ، مصر ومجلس الامن ، قضية فلسطين ، صوت مصر والسودان ، يوم سعد ، هل جلوا ؟ ، الطيار المصري الاول ، في معركة القناة ، الجلاء عن مصر ، بعد مؤتمر القمة .. كما نطالع في قصائده العالمية ، حبه ودفاعه عن السلام والعدالة والحرية ، ومقته ومناوأته للحروب والمظالم والعدوان ومنها : ميثاق السلام ، والحبشة والمستعمرون ، وفي حرب طرابلس ، والغزو الانساني ، والحرب والعلم ، وتبرير الحرب ، وغني الحرب ، والحرب القادمة (قبيل الحرب العالمية الثانية) ، وحرب ام سلم ، وشم النسيم في الحرب ..

ومن قوله في « الحرب والعام » او في تسخير العام في الحرب والقتل :

لا نحب الجهل بل ننشد امنا
ان اتى العلم به بالعلم دنا
واذا اعتد بسكين هتفنا
امنعوا الجزار عن وادي البقر
ما بحسبي انني ان رمت امرا
نلته فورا اذا حركت زرا
فبهذا الزر قد اصهر صهرا
ليت من اخلص يوما ما غدر

ووسط ضجيج الاحداث القومية والعالمية ، ومذابح الحربين العالميتين وملحقاتهما ، كان يعاوده الحنين الى واحته الشعرية ـ يرتد اليها بين الحين والحين ، مناجيا الشعر والشعراء ـ راضيا ، شاكيا وهنا ينظم عن : الشاعر ، قدوم شاعر ، الشاعر الراحل ، شاعر في مصر ، حتى الشعر ، الشعر المقترح ، في حضن الطبيعة ، دانونزيو ـ غير منظوماته في اصحابه الشعراء : احمد شوقي ، حافظ ابراهيم ، العقاد ، المازني ، الماحي ، علي شوقي ، علي محمود طه .. وغيرهم .. وفي معاتبته لاوفى اصدقائه « الشعر » يخاطبه :

يا مؤنسي في فيافي العيش يا املي
يا بسمتي ، يا دموعي ، يا رياحيني
يا ظل نفسي ، بل نفسي بجملتها
مسكوبة في قوافيها الميامين
ان تمض عني ، فماذا تركت اذن
مني لاسمو عن تلك البراذين
افر حينا اليه كلما كبرت
جريمة العقل في عرف المجانين
يا شقوة النفس ان تعدم لها فرجا
في القول او فرجة بين الميادين

وللشاعر محمود عماد آراؤه في الشعر وفي اغراض الكتابة عامة ، ذكرها في عدة مواضع من مقالاته ومقدماته .. من ذلك قوله في مقالة باكرة نشرها بجريدة البلاغ (٢٦ ـ ٢ ـ ١٩٢٤) بعنوان :«حرية الفكر » وتناول فيها اغراض الكتابة :

« .. لا يصح ان نعنى بالكلمة او السطر فقط ، بل يجب ان نتناول المواضيع والمذاهب بجملتها ونمحصها لا من حيث علاقتها بالساعة التي قيلت فيها ، بل من حيث علاقتها بالزمن كله ، حتى اذا كانت عناصر الحياة فيها من القوة بحيث تلائم كل جو ، كتب لها الخلود .. » « لذلك نادينا بالثورة الفكرية وطالبنا بالاستقلال في

---

١٢ ـ من الكتب : « مشاهير شعراء العصر » دمشق ١٩٢٢ ـ وفن الشعر لمحمد مندور ـ والشذا المؤنس لعلي الجندي ـ والعامل الديني في الشعر الحديث لسعد الدين الجيزاوي ـ والاسس المعنوية للادب لعبد الفتاح الديدي ـ ومن الصحف : الدستور ٢١ ـ ١٢ ـ ١٩٣٨ ـ والفكر المعاصر مارس ١٩٦٦ ويونيه ١٩٦٦ ـ والمجلة ـ اكتوبر ١٩٦١ وفبراير ١٩٦٣ ـ وروزا اليوسف ٧ ـ ١ ـ ١٩٦٣ ـ .

الرأي . وليس ذلك بأن نهدم كل قديم ، ونقيم على انقاضه جديدا ، ولكن بأن نقيس القديم الى تطورات العصر ، فاذا اتفق معها حرصنا عليه ، واذا ند عنها اهملناه واتخذنا منه بديلا ... ان الطبيعة ترتقي بكل عناصرها ، والكون متجه بجملته الى الكمال .. »

ويقول : « يجب ان نشعر بأنفسنا ، ونحدد وجودنا ، ونؤمن بشخصياتنا . وان يكون لنا حق مناقشة الآراء او حق ابدائها .. ومن هنا نستبشر ونحتفل بكل مؤلف تحرر من رق التقليد ، واعلن شخصيته في كتابه برأي ينقضه او يبديه مهما كان مقدار اقرارنا او مخالفتنا له في هذا الرأي ـ اما الحقيقة فهي لا شك مطلة علينا من احدى الجهتين .. »

ومن رأيه في الشعر ما ذكره في تمهيد لديوانه الاول المطبوع عام ١٩٤٩ حيث يقول :

« ... اكثر الناس اعتادوا ان يسموا كل من نظم كلاما شاعرا ، وكل كلام منظوم قصيدة . وان كان ينقصهما الصدق في الشعور والتعبير . فالصدق وحده هو الذي يشيع الراحة في نفس الشاعر اذا فرغ من نظم قصيدته ، وفي نفس القارىء اذا وجد في القصيدة تعبيرا صحيحا عن شعور مكبوت في نفسه ، كما لو كان هو ناظمها . أي ان الصدق هو الذي يجعل القصيدة قصيدة انسانية ، من صنع انسان حي ، لا من صنع انسان (ميكانيكي) » .

كما يقول في احد احاديثه المنشورة : (١٣)

« ... الاصل في الشعر ان يكون تنفيسا لشعور صاحبه . فهو ملك الشاعر وليس ملكا لسواه . على ان هذا لا يمنع ان يأتي شعور الشاعر في بعض قصائده متفقا مع شعور المجتمع ، فتجيء معبرة عن رأيه ايضا ، ولكن بطريق غير مباشر . فقد نظمت في اغراض قومية كثيرة كنت فيها متفقا مع المجتمع ، بينما تجنبت النظم في اغراض قومية اخرى لم تهزني كما هزت المجتمع ... »

وعن شعره التشاؤمي الذي شاركه فيه عدد من شعراء جيله ، لاسباب خارجة عن ارادتهم منها ظروف عصرهم الانتقالي الذي عاش فيه الاديب حائرا غريبا ، يقول عماد فيما قال عن هذا النوع من الشعر :

« .. اني لا احب الكذب في الشعر (بكسر الشين) وانا لا احبه ايضا في الشعر (بفتح الشين) ، ومع ذلك فانا مقيد بقسم قديم لا استطيع التحلل منه الآن ، فقد تطغى على النفس البشرية في الشباب ساعات يأس أليم تبغض اليها الشباب حتى لتحسب سعادتها في الشيخوخة وذلك رغبة في الانتقال من حال الى حال ، لا لان الشيخوخة سعيدة في حقيقتها ... »

وتتضمن مقالات عماد النثرية النقدية واحاديثه المنشورة ، التي لم تزل مطوية في الصحف والكتب ، ولم تجمع بعد في كتاب ـ الكثير من آرائه في الادب وفي الشعر ، وفي الكتب والكتاب والشعراء ... وقد سلف ذكر بعض هذه المقالات مثل : حرية الفكر ، ونقد ديوان العقاد ، وكتابه « مطالعات في الكتب » ، وبحث عن العقاد في الكتاب الذي اصدره الادباء بعد وفاته .. ثم مقدمات لدواوين عدد من الشعراء ، وللجزء الاول من ديوانه.. تضاف اليها احاديثه في الصحف والاذاعة والكتب ، ثم رسائله الخاصة .. وغيرها من منشوراته المحتجبة ..

وتوفي الشاعر محمود عماد بالقاهرة يوم ٢٤ من ديسمبر ١٩٦٥ بالغا من العمر اربعة وسبعين عاما ودفن بجبانة « مصر الجديدة » من ضواحي القاهرة ، وقد شيع اليها من مسكنه بالحي الذي قضى به السنوات الطوال (حدائق القبة) .. ولم يكن في آخر حياته طريح الفراش او ملازما الدار .. وحضر اجتماع لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب ـ وهو عضو بها ـ قبيل وفاته ، كما سجل على ورقة قبل رحيله بأربعة أيام ، محتويات ديوانه الثالث غير المنشور « عود على بدء » الذي صدر عام ١٩٦٧ بعد وفاته ، وبه مقدمة جامعة بقلم نجله الشاعر محمد محمود عماد ، غنية بالذكريات والمراجع ..

ورثاه عقب وفاته الشاعر صالح جودت ومما قال : (١٤) « .. في غير ضجة مات الشاعر محمود عماد ، ولم تكتب عنه الصحف كلمة واحدة رغم اعوامه التي جاوزت السبعين ، والتي قضى اكثرها في خدمة الشعر .. وبعد ـ فهل تعرفون ما هو اجمل تراث خلفه محمود عماد ـ لقد خلف وراءه شاعرا هو ولده محمد محمود عماد » .

ثم كرمته وزارة الثقافة بأن افردت له دراسة كتبها والقاها في مهرجان الشعر بغزة عام ١٩٦٦ الشاعر العوضي الوكيل .. واصدر محافظ القاهرة عام ١٩٦٧ قرارا باطلاق اسم الشاعر محمود عماد على احد شوارع « مصر الجديدة » المدفون بها ..

ونال محمود عماد في حياته وسام الشعر في عيد العلم الثامن بالقاهرة في ديسمبر ١٩٦٢ كما حاز من قبل جائزة المجمع اللغوي عام ١٩٤٧ عن شعره قبل صدور ديوانه الاول عام ١٩٤٩ ومما يذكر ان اديبا نشر بمجلة «الرسالة» عقب فوز الشاعر بهذه الجائزة يقول (١٥) :

« ومن من القراء يذكر ان الشاعر محمود عماد مثلا ـ يعتبر من الشعراء المبرزين منذ اكثر من ثلاثين عاما ، وكان اسمه يتردد مع الشعراء النابغين النابهين ، ولكنه قضى حياته على مكتب ضئيل في ركن مظلم من اركان وزارة الاوقاف ، فلم تمكنه هذه الحياة من ان يظهر للناس ، فنسيه الناس ، ولما اعلن فوزه بالجائزة قال القائلون : ومن هو محمود عماد ؟ بل لقد رأيت الصحف ذكرت اسمه بين الفائزين محرفا ـ فقلت يا لله ـ أيكون اسم ذلك الشاعر مجهولا الى هذا الحد ؟!. »

اما اكبر نجلي المرحوم محمود عماد ـ وهو الشاعر محمد محمود عماد ، المولود بالقاهرة في ٤ ديسمبر ١٩٢٥ والمقيم بها الى اليوم، فقد اصدر عام ١٩٦١ ديوانين من شعره بعنواني : « شفل » ، و « كيف لم تعرفي ؟ » ـ ويضمان عددا من قصائد الشعر المبتكر الحديث (غير العمودي) ـ كان قد نشرها في جملة من الصحف والمجلات المصرية ، كما نشرت له مختارات شعرية في « المختار من الشعر الحديث لعامي ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ » من مطبوعات المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة. وكان له خلال هذين العامين نشاط اذاعي بالبرنامج الثاني للاذاعة المصرية .. ولم تزل البرامج الاذاعية تقدم قراءات من شعره .. ويعد اليوم للطبع مجموعات شعرية تدور احداها حول انفعاله ـ ابنا وتلميذا ـ بوفاة والده محمود عماد ـ. والدا وشاعرا وانسانا، وتنتهي بخواطر نثرية موضوعها الحي الذي اقام به الاب الشاعر وقضى به جل حياته الاخيرة ـ وللشاعر محمد محمود عماد مستقبل زاهر في ميدان الشعر الوجداني الحديث .

الاسكندرية — نقولا يوسف

---

١٣ ـ عن مقالاته في الصحف ، واحاديثه في الاذاعة ، وفي كتابي « مشاهير شعراء العصر » ـ « والاسس المعنوية للادب » ..

١٤ ـ مجلة المصور ٧ يناير ١٩٦٦ .

١٥ ـ مجلة الرسالة ١٤ ـ ٤ ـ ١٩٤٧ .



ديك الجن

مهداة لذكرى الصديق الكاتب العظيم الذي جمل الموشح
والشعر يحسد السجع والنثر ، الفقيد نظير زيتون .

☆ ★ ★

يا (ديك جن) هدهد الجنا ... ما كنت في أهل الهوى منا
نحن استبقنا قبلما خلقت ... فيك الفنون وأزهرت غصنا
وأتيت ((حمص)) مسائلا ولعا ... أيا ترقد جنة عدنا
فأجابني النهر الذي غبرت ... شكواه منك وهزني معنى
قد عشت مجنونا بفانية ... تسقيك الهاما هفا فنا
(وردا) تسمى في مطالعها ... كان الربيع يزيدها حسنا
يا أغرب الشعراء في شجن ... ابدت في احبابها الحزنا
كيف استطعت بحرقها مددا ... ولقد جرمت بحتفها ظنا
وجعلت كأسا من هوامدها ... تسقيك دمعا يملأ الدنا
هذا هو الحب الجنون ، له ... بطش يزلزل شامخ المبنى
((مجنون ليلى)) كان ذا خلق ... يا عاشقا في طيشه جنا

(حمص) التي تسمو بروعتها ... بلد يريك الصفو والامنا
فيها مناجيد غطارفة ... تاريخها بجهادهم أسنى
وكفاهمو فخرا يتيه به ... اهل البيان وهم به أغنى
قلم أعز النثر صاحبه ... وسما به ، بخلوده غنى
مصباح (زيتون نظير) علا ... فيه شعاع العرب لا يفنى
أسجو لدى ((الميماس)) انفحه ... بفواتح ((القرآن)) كي يهنا

دمشق

زكي المحاسني

انتاجنا الفكري بين الحربين العالميتين

١٩١٤ – ١٩٣٨

بقلم سامي الكيالي

* * *

هذه رسالة بدات بكتابتها في اوائل الحرب العالمية الثانية اسجل فيها مدى تطور الانتاج الفكري على ضوء ما تقذفه المطابع من كتب ورسائل ..

كتبت قسما منها ثم اهملتها حين وضعت الحرب اوزارها ، وقد مرت ايام وسنون فنسيتها ..

وبينا كنت ابحث في ادراج مكتبي عن بعض الاوراق والقصاصات اذ بيدي تمتد اليها ، فتركت ما كنت ابحث عنه ، وبدات اقرا بعض صفحاتها واذا بـي ازاء صور متباينة كل التباين بين انتاجنا بالامس القريب وانتاجنا اليوم ..

فبينا كان الانتاج الفكري لا يتعدى في السنوات التي اعقبت الحرب الاولى الخمسين كتابا في العام الواحد ، اصبح بعد الحرب الثانية يربو على الالفين والثلاثة الاف كتاب .

ولهذا رايت من الفائدة ان انشر الرسالة كما كتبت دون تحوير ، فقد يرى مؤرخو الادب والمعنيون بتطور الانتاج الفكري فيها وميض فائدة . والله من وراء القصد .

* * *

حين اندلعت نيران الحرب في اوروبا – الحرب العالمية الثانية التي يروق لبعض الكتاب والسياسيين ان يسموها « الحرب الهتلرية » او « حرب الديكتاتوريات » على الديموقراطيات .. – حين تطايرت اول شرارة من سماء برلين متجهة نحو بولونيا في اليوم الاول من شهر ايلول سنة ١٩٣٩ تساءل الادباء في كل قطر من اقطار الدنيا عن مصير الانتاج الفكري ..

هل سيظل على حاله ام سيتناقص .. ام سيتوقف تماما ؟

اذ لا احد ينكر ان للحروب اثرها في الحد من نشاط الفكر ..

وتساءل ادباء العرب . وتساءلت دور النشر هذا السؤال ايضا بسبب فقدان المواد الاساسية للطبع واهمها الورق .. ولا سيما ، وليس في البلدان العربية كلها ، معمل واحد لانتاج الورق (1) . وجميع اصحاب المطابع والناشرين واصحاب الصحف يجلبون كافة مواد الطباعة من مختلف مدن الغرب ، فاذا طالت سنوات هذه الحرب فقد يقف الانتاج الفكري بالمرة .. ولا يخالف الحقيقة حين نقول : – وقد مر على هذه الحرب ثمانية عشر شهرا – ان الانتاج الادبي في البلاد العربية قد تناقص بشكل هائل ، ووقفت المطابع او كادت عن اصدار الكتب ، واقتصرت الطباعة على الصحف اليومية والبلاغات الرسمية والمجلات الدورية .. وقلما تقذف المطابع كتابا إلا ما ندر .. او ما كان ورقه محتفظا به قبيل الحرب ..

وقد تفاقمت ازمة الورق تفاقما كبيرا مما دعا السلطات الى اصدار قرارات تحدد بموجبها اصدار الصحف اليومية بصفحات معينة وايام محدودة .

ففي لندن مثلا فرض على صحفها ان تصدر ثلاثة ايام في الاسبوع بأربع صفحات ، وثلاثة ايام بست صفحات ، واليوم السابع بعشر صفحات اقتصادا بالورق .

وخضعت الصحف في فرنسا لمثل هذه القيود .. وخضعت لمثلها اكثر الصحف في العواصم الاوروبية ..

وفي سورية ولبنان حددت صفحات الصحف بصفحتين فقط مع انها كانت تصدر بثماني صفحات من القطع الكبير ، وكان بعضها يصدر في عشر صفحات او اكثر ..

ورأينا جريدة « الاهرام » في مصر ، وهي اوسع جرائد الشرق العربي واغناها تصدر في ست صفحات بعد ان كانت تصدر في ست عشرة صفحة كبيرة ، الى اصدارها اعدادا خاصة ، بين الفترة والفترة ، في اربع وستين صفحة ..

ورأينا اكثر المجلات تصدر بنصف حجمها ايضا . وذلك تنفيذا لامر الحاكم العسكري في مصر الذي اصدر قرارا في ١٤ نيسان ١٩٤٢ خفض فيه عدد الصفحات

---

١ – يتفق المؤرخون على ان الفضل في اختراع الطاغر يرجع الى الصين ، ولكن انتشاره بالغرب – اوروبا – يرجع الى العرب . وقصة الطاغر هي ان القبائل الضاربة على حدود الدولة الساسانية بايران في اوائل القرن الثامن للميلاد طلبت حماية الصينيين فحصلت بذلك على مركز ممتاز انفردت به دون غيرها . وظهر القائد ابو مسلم الخراساني على المسرح فلم يستطع غض الطرف عن ذلك ، وهو الممثل للدولة العباسية ، فشن حملة باذن من الوالي زياد بن صالح امير سمرقند ، وانتصر على اعدائه في شهر يوليو – تموز – ٧٥١م ، وتمكن من اسر عدد كبير فنقلوا من حدود الصين الى اعظم مدائن الخلافة العباسية ، وهذه المعلومات التاريخية التي رواها مؤرخو العرب تطابق ايضا ما رواه مؤرخو الصين ، فان المؤرخ الصيني « طنغ شو » ذكر انه في الشهر السابع من سنة ٧٥١م انكسر الماريشال كادهاسيافا الذي اصله من كوريا في وقعة ضد العرب جرت بكانفلي على تخوم نهر طراز . وسرعان ما انتشرت صناعة الطاغر بين المنتصرين ، وبلغت مبلغا عظيما من النمو خصوصا بخراسان تحت رعاية الفضل الوالي الذي ولاه هارون الرشيد سنة ٧٩٤م . وانتقل الطاغر الى القيروان في عهد الاغالبة ، ثم التحق بمدينة طليطلة ، من الاندلس الى فرنسا في القرن الرابع عشر بمدينة ارسون . (الحضارة العربية في حوض البحر الابيض المتوسط لقمان الكماك ص ٨٧) .

في الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية ومما جاء فيه : « انه لا يجوز أصدار الجرائد اليومية الا في أربع صفحات دون ان تصحبها ملاحق .. او ان تشتمل على نشرات او اية اوراق مطبوعة ترفق بها او تحشر بين صفحاتها .. ومع ذلك فيجوز لها في كل شهر نشر عشر صفحات اضافية تختار ايامها كيف تشاء ..

وقد عانى الكتاب الاوربيون هذه الازمة ايضا .. لان معامل الورق في الغرب ، كاكثر معامل الصناعة ، قد تحولت الى معامل حربية لانتاج القنابل المحرقة والمتفجرة ، وانتاج المدافع وقاذفات القنابل والطيارات والغواصات والمدمرات وما اليها من وسائل التدمير والهلاك ..

اضف الى ذلك تقييد حرية النشر ، وحرية الفكر ، وانصراف الناس عن المطالعة الهادئة الى تتبع انباء القتال وسير الحرب .

ففي الحرب العالمية الاولى مثلا تناقصت حركة النشر تناقصا محسوسا ، فقد ذكرت احدى المجلات الانكليزية « ان عدد الكتب التي نشرت في بريطانيا سنة ١٩١٣ كان ١٢٣٧٩ ثم صارت في سنة ١٩١٤ ثمانية الاف فقط ، ثم تناقصت الى ٦٦٠٦ في عام ١٩١٧ » .

وتختلف الحرب الثانية كل الاختلاف عن الحرب الاولى .. وليس ببعيد ، اذا طال امدها ، ان تقف حركة النشر بالمرة ..

وكما أعقبت الحرب الماضية فورة عامة من الانتاج في مختلف ميادين الثقافة فسيعقب الحرب الثانية فورة أعم .. نتيجة لهذه الاحداث الخطيرة التي مرت على البشرية خلالها مما لم يكن في حسبان احد ، بل مما دق فهمه حتى على اقدر الساسة واعاظم القادة ، فقد دكت صروح واخترقت حصون ، وانهارت ممالك ، وتلاشت امم في ايام وشهور مما لم يرو له التاريخ نظيره لا في القديم ولا في العصور القريبة المدى من عصرنا هذا ..

لقد قبع رجال الفكر في منازلهم ، يرقبون سير هذه المجازر ، ويتأملون ، في هداة من السكوت والوجل، ما يحمله الغد من مفاجاءات غير منتظرة .. ويتساءلون متى تقف المدافع عن اطلاق حممها ، وتكف أسراب الطيارات عن قذف قنابلها ، والغواصات والنسافات والمدمرات عن رمي طرابيدها وبراكينها المحرقة المدمرة ويعود العالم الى فيض سعادته ، وفردوس أمنه وسلامه، كما يعود الفكر الى ابداعه واشعاعه ..

وما دام الانتاج الفكري في مختلف اقطار الغرب قد توقف او كاد ، فبدهي ان يتوقف ادباؤنا عن الانتاج ، وعن النشر الى ان تنجلي هذه الكارثة التي تهدد الحضارة في الصميم .

ان الفكر العربي سيأخذ غير الاتجاه الذي سار عليه بعد الحرب الاولى . في اتجاه جديد لا نعلم لونه ..

اي ان ادبنا سيساير الاتجاهات العالمية في سيرها الفكري المطرد ، كما سايرها في الفترة التي اعقبت الحرب الاولى فما لون هذه الفترة من تاريخنا الادبي ؟

الواقع ، ان نهضتنا الفكرية حفلت بمختلف التيارات الادبية والاتجاهات الاجتماعية ، فصدرت مؤلفات في الادب والتاريخ ، في الشعر والنثر ، في القصة والرواية، في العلم والفن ، في الفلسفة والنقد ، ونشرت كتب قيمة ومخطوطات ثمينة .. كما ترجم عن اللغات الاجنبية مختلف الكتب ، وعرفت العربية بعض المؤلفات في علمي الطب والحقوق وغير ذلك مما يعطي هذه الفترة لونا من الوان البعث الفكري في مطلع القرن العشرين .

هذه الحركة الفكرية التي مرت من تاريخنا الادبي خلال العشرين عاما المنصرمة ، اي منذ نهاية الحرب العالمية الكبرى حتى بدء الحرب الثانية هي التي دفعتني ان اكتب هذه الرسالة استعرض فيها انتاجنا الفكري على ضوء ما صدر من كتب ومؤلفات ، على ان الح الى الانتاج دون ان اخصه بقطر دون آخر . لان اليقظة الفكرية كانت عامة في جميع اقطار الشرق العربي وان اختلف المستوى الثقافي بين قطر وآخر ..

ولكي ارسم صورة صادقة لسير الحركة الفكرية سأشير الى الكتب التي صدرت عاما اثر عام ، وبذلك يقف القارىء على تطور النهضة الفكرية في الشرق العربي ومدى تأثرها بثقافة الغرب .

كما يقف على مدى ما اصاب نهضتنا من رجعة وانتكاس وكيف ان الحركة الفكرية تجاذبتها عدة عوامل اهمها هذه الحرب الطويلة التي ثارت بين انصار القديم وانصار الحديث ، والتي انتهت ، عند هذه الهدنة الطويلة التي تتيح لكل فريق ان يعمل في جوه وبيئته .. ويترك للزمن ان يثبت اية فكرة هي الاصلح والانسب لتطور الامة ورقيها العقلي ..

وهكذا ، ففي عرضنا للمؤلفات التي صدرت خلال هذه الفترة الطويلة — سنمر بهذه الالوان من حياتنا الفكرية ، وبذلك نكون سجلنا صورة صادقة من تاريخنا الفكري الذي اصبح ملك التاريخ .

١٩١٨

عندما وضعت الحرب الكبرى اوزارها سنة ١٩١٨ تطلع الادباء في البلاد العربية الى وادي النيل والى المهجر الامريكي ليروا مدى ما انتجه الادباء المصريون والسوريون المتأمركون ، خلال سنوات الحرب حيث اقيمت حواجز منيعة من سيناء الى اقصى بلاد الرافدين — اي بينها وبين مصر والمهجر .. فمهدهم بالانتاج الادبي كان حول هذه المؤلفات التي تركها الشميل والكواكبي وفتحي زغلول وقاسم امين وفريد وجدي ولطفي جمعة وصروف وزيدان وشوقي وحافظ والمنفلوطي وجبران والريحاني وغيرهم

نصيحة

لا تمري صغيرتي في طريقي
واهربي من صواعقي ورعودي
واحذري نظرتي ففيها شبوب
عاطفي يذيب قلب الحديد
فاذا ما علقت بالشرك المنصوب
للصيد صرت بعض عبيدي

بغداد　　　باقر سماكة

وغيرهم . تطلع ادباء العرب وادباء الشباب بصورة خاصة ، ليروا مدى ما انتجته القرائح خلال الحرب الماضية .

وهالهم ان لا يروا محصولا ادبيا جديدا .. فقد توقف الانتاج بالمرة ، ولم تصدر غير كتب محدودة لعل اظهرها كتاب « ذكرى ابي العلاء » للدكتور طه حسين - وقد صدر خلال الحرب - .

ولم تكد سنة ١٩١٨ تغيب في احشاء الزمن حتى تركت زادا ادبيا لا يشبع جوع النفس العربية ، ولا يروي ظمأها ..

فقد صدر الجزء الاول من ترجمة كتاب « اصل الانواع » لداروين بقلم اسماعيل مظهر ، كما صدر ديوان « الكواكب » لجبران خليل جبران الذي قالت عنه الآنسة مي انه مراحل نفسية استقرت صورها في منظوم ومرسوم ، وقد رات فيه ، كما في « المجنون » تأثير نيتشه ، وان كانت بسمة التهكم الفني الدقيق الذي رأته عند جبران لن تشبه ابدا ضحكة نيتشه ذات الجلبة الضخمة المضحكة ..

وقد نشر المستشرق الايطالي الدكتور .. غريفني استاذ اللغة العربية في جامعة ميلان في ايطاليا قصيدة « قدم بن قادم » الذي يتصل نسبه بيعرب بن قحطان الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ، وهي تعد من اقدم القصائد العربية .. ثمة بعض كتب ورسائل وقصص غير جديرة بالتنويه .

١٩١٩

على ان بعض القرائح قد تاثرت بحوادث الحرب فأصدر أسعد خليل داغر « تاريخ الحرب الكبرى » شعرا ، وهذا التاريخ مؤلف من نحو ١٥٠٠ بيت تتضمن وصف اشهر المعارك التي نشبت في البلجيك وفرنسا وروسيا وايطاليا والبلقان والدردنيل وغاليبولي والقوقاس والعراق وشبه جزيرة سينا وسورية وغيرها .. وقد صدر الناظم وصف كل معركة منها بخلاصة تاريخية حاوية لكل ما يهم القارىء العربي ان يعرفه عنها . وقد وضع للكتاب مقدمة طويلة إشار فيها الى ما امتازت بها هذه الحرب عما سبقها من الحروب ، وما شاهده فيها الناس من الرزايا والفظائع وما يتوقفونه لها من نتائج ..

وما اظن ان شاعرا من شعرائنا المعاصرين خطر له ان ينظم هذه الحرب ومفاجئاتها كما فعل اسعد خليل داغر الذي دعا قصيدته ملحمة ، ولا نستطيع ان نسميها ملحمة .. وهي وصف الوقائع والمعارك اكثر منها اوصف البطولات ، وتختلف كل الاختلاف عن منازع الشعر في يومنا هذا ..

وصدر للدكتور سليم شحادة من ادباء المهجر كتاب « الحرب الكبيرة » ، وللخوري انطون يمين اللبناني كتاب « لبنان بعد الحرب » تناولت فصوله ذكرى الحوادث والمظالم في لبنان في الحرب العمومية « ١٩١٤ - ١٩١٩ » .

كما صدرت ، خلال سنوات الحرب ، كتب لها علاقة بتلك المأساة العالمية ككتاب «تاريخ الحرب الكبرى» وهو مجموع رسائل متوالية اصدرتها جريدة « المقطم » حذت فيه حذو جريدة « التيمس » في تاريخها الحربي المشهور ..

وترجم الاستاذ اميل زيدان رئيس تحرير «الهلال» كتاب « الحرب الاوربية » لغوستاف لوبون ، وقد تناول اسباب الحرب ونتائجها على ضوء احدث النظريات السيكولوجية .

ونشر الدكتور محمود عزمي رسالة بعنوان « ما بعد الحرب » ، وقد تضمنت النزعات الاقتصادية الحديثة السائدة في تلك الفترة مع شرح مسهب للاساليب التي تعمل بها المانيا لاسترداد مركزها المالي والصناعي ..

ونشرت ترجمة رسالة لخنوفسكي سفير المانيا في انكلترا وقد تضمنت ادلة تثبت ان مسؤولية تلك المجزرة البشرية تقع على عاتق حكومته. ونشرت كملحق لجريدة « المقطم » ثم اصدرتها جريدة « وادي النيل » في كراسة مستقلة .

ويلاحظ القارىء ان اكثر الكتب والرسائل التي صدرت عن الحرب هي باقلام ادباء لبنانيين ، وسبب ذلك ان لبنان هو القطر العربي الوحيد الذي ذاق ويلات الحرب بسبب المجاعة التي انتشرت في ربوعه .

لقد مر عام ١٩١٩ دون ان تنتج المطبعة العربية اثرا ادبيا يذكر فهل كان العام الذي تلاه اكثر خصبا ؟ سنرى .

حلب　　　سامي الكيالي

حزن تحت أشجار المطر

صباح الدين كريدي

تعبر اشجار الغرفة انسام الزمن الدافيء
فتدندن في الاغصان العارية المليون
اجراس الحب ..
تتطاير اشواق الزمن الماضي في كل الاجواء
اسرابا ، اسرابا ، اسراب
فـوق الادراج العليا
عبـر الغرفات اللاماهوله
تحت جناح الشجر الساهر في احضان الليل..
حين الحب غريبا كان كطعم الحرب
كالجرج الدامي في كف الاطفال
كغناء يصعد فجـأه
بين شغاف القلب !

انزل .. في عرض الشارع امشي أمشي
انسانا مهزوما في كل الجبهات
تقرع سمعي اخشاب الاصوات
تقبع في روحي كل وجوه الحزن
اتملى فقر عيون الناس المقروره
اقرأ كل اللوحات ، وكل الاعلانات
حتى اسماء الموتى والشهداء
واخيرا ألمح وجهي صدفه ،
ينظرني في مرآة الاعياء !

أغفو فوق المقعد .. داخل ثوبي المثلوج
وانا انتظر قطار الركاب الآتي عبر ضباب الفجر
يأتي الحب وحيدا .. وحزين العينين
في عربات قطار الصبح ..!
ثم يتابع ، نحو بلاد الريح .. بلاد الاحجار
لا يسأل عنـي ،
يتفرس في وجهي .. لا يعرف اني ...
أركض ، اركض .. يبعد عني !

فوق المقعد ابكـي ،
أبكي تحت الاشجار ،
يبكي فوقي الغيم ، وتبكي الاشجار !

اتلفت .. أطرد تاريخي الآتي ..
تستيقظ فيّ طقوس الانسان الحجري ،
اسلك درب الارصفة المهجوره
انتظر قدوم الريح ، واعصار الاوراق
حتى القي نفسي تحت رداء النهر الهمجي
تأخذني بين ذراعيها ، عارية ، احدى الموجات
نحو فراش الصمت العشبي
تندفق فوقي موسيقى الاجراس
تملأ روحي الاسراب الاسراب !!

دمشـــق

خرجت « سامي » الى الشرفة المطلة على الشارع من احد جانبيها، وعلى البساتين الممتدة حتى الافق من الجانب الاخر . الشارع مقفر تماما ، والاضواء مطفأة ، ولولا حركتها هي لحسبت المدينة مهجورة .

عند المنعطف المؤدي الى دائرة البريد وقفت دبابة ، كتلة سوداء تربض مترقبة كذئب ينتظر فريسة، لعل احدهم يخطيء فيخرج الى الشارع ، وتكون نصيبه رصاصات تستقر في راسه او صدره ، او حيثما كان من جسده المباح .. المسألة ليست لعبا .. منع التجول اي منع التجول .. حتى لو كانت امراة جاءها المخاض ينبغي لها ان تنتظر حتى تطلع الشمس ثم تدعو القابلة .. حتى لو كان طفلا اصيب بالتسمم او لفحته الحمى فاوشك ان يلفظ انفاسه .. عليه هو الاخر ان ينتظر حتى الصباح ، او فليمت .. سيان .

جارتها « هيام » وضعت مولودها البكر وحدها قبل ايام ، ثم في اليوم التالي اصيبت بحمى النفاس وانتقلت الى جوار ربها .. وكانت تهذي مرددة عبارة : حقوق الانسان ..!

رمقت الدبابة الرابضة عن بعد بنظرة حقد يغلي في صدرها ، سرعان ما يتحول الى قطرات دافئة تنساب على خديها ، وهي تنقل بصرها بين جدران المنزل ، تتأملها ، كانها لا تعرفها من قبل ، كانها قاطنة جديدة تقضي بينها ليلتها الاولى ، تتحسس « الدرابزين » البارد بيدها المقشعرة ، تضغط على الماسورة ، تلصق خدها ، بالجدار الاملس .. بارد كالثلج لكنه حبيب الى قلبها . لم تعرف انه عزيز عليها هكذا .. للمرة الاولى في حياتها تتنبه الى هذا النوع من الحب ، بين الانسان والاشياء .. اشياءه التي عايشته طويلا .. تشاطره

الذكريات .. وتختلط الدموع مع الهمسة الخافتة ، مع اللهيب المتأجج في الاعماق :

ــ يا بيتنا الحبيب .. هذه الليلة وحسب .. غدا يا بيتنا كيف تكون .. واين نكون ..؟ يا رفيق السنين الطوال ، غدا نفترق ..

القمر يطل من وراء التلال الشرقية كقرص من النحاس ، تحيط به سحابة داكنة . قالوا بالامس انهم نزلوا هناك .. اعجوبة كأساطير الاولين .. في لحظات هبوطهم على القمر ، يصبح منزلنا انقاضا .. مناسبة سعيدة لتأريخ الحادث .. هي الحضارة هنا وهناك ..!

الدموع الزاخرة تتدفق كلما



بقلم يوسف جاد الحق

تزايد الغليان في الاعماق .. يا الله ، اما لهذا الليل من آخر ..؟

حركة .. شبه حركة من خلفها ..

ــ احمد ؟ ما الذي جاء بك الآن .. الم تكن نائما ؟

اقترب الصغير يدرج بقدميه الحافيتين ..

ــ حاف ايضا .. دع البرد يقتلك ، لانك لا تسمع كلامي ..

التصق الطفل بها وهو بين اليقظة والنوم .. دفن راسه في طيات



ثوبها ، وامسك اطرافه بيديه الصغيرتين . اراحت كفها على راسه ، تداعب شعره ، وهي كالمنومة .

ــ ماذا سأصنع غدا .!؟

سؤال تردده للمرة المائة او الالف او العشرة آلاف .. اين اذهب ..؟ اي مستقبل ينتظرني انا والطفل ..؟ حتى البيت الذي يؤوينا سوف يذهب هو الآخر .. ذهب من قبل « ابو احمد » شهيدا في حزيران .. ذهب خالد اخي ، ملتحقا برجال المقاومة .. جيراننا طيبون ، لن يتأخروا عن مساعدتي حين تقع الكارثة .. كل بيت تحل به المصيبة يلقى اهله من الجوار حدبا ورعاية .. ولكن الى متى تستمر المساعدة ؟ ايام .. شهور .. ثم ماذا ؟ ثم يصيبهم ما اصاب الاخرون من قبلهم .. نصف منازل غزة اصبحت انقاضا .. جدرانها تهاوت ، شوارعها تمزقت كورقة تين هشمتها رياح الخريف .. سوف يتكرمون علينا بخيمة في المخيم الجديد .. هذا كل ما تستطيع عمله من اجلنا هذه الهيآت الدولية .. اتراها تفعل ذلك حقا عطفا على الانسانية المعذبة ..؟

الصوت الملائكي يوقظها :

ــ اين سيارتي ..؟

الخنجر يغوص عميقا .. اليم .. اليم يمزق القلب تمزيقا .. اين سيدرج بها غدا ..؟

ــ لعبتك فوق السرير يا امي .. اذهب الى سريرك يا احمد خذها ونم .. ضعها في حضنك ..

ارخى ثيابها ، وانسل الى الداخل .. ثم عاد يحمل لعبته ..

ــ الم اقل لك أن تضعها في حضنك وتنام ؟

كانها لم تقل شيئا .. اخذ يملأ « زمبرك » اللعبة ، ثم يطلقها لتدرج في الشرفة ، ثم تتوقف عندما تصطدم بالحائط . يذهب اليها

ليحضرها .. يملؤها .. يطلقها من جديد .. يطلق معها ضحكاته المفعمة بالفرح .. يجري وراءها .. يدركها عندما تصطدم بالجدار ..

همت سلمى ان تنتهره كعادتها خشية على دهان الجدار . كانت تحرص على ان تظل الجدران لامعة نظيفة ، لا خدوش فيها .. الدهان رمادي فاتح يجب ان يظل نظيفا ..

اين سيدرج بلعبته غدا ..؟

رباه ، اين ..؟

✶

قال لهم مختار الحي عصر ذلك النهار : « دعوا لهذه البائسة بيتها ، سيما وان غدا عيد » .

رد الضابط وهو يقهقه عاليا :

– ومن قال لك اننا لا نريد ان تكون اعيادكم مآتم ؟ كل ما يسؤوكم يفرحنا ايها العربي ..!

قال المختار في محاولة اخيرة متجاهلا لؤمه :

– ولكن ما ذنبها هي ، هذه المراة ؟ انها لم تقل للناس قوموا بمظاهرة .. كما لم تقل للشاب ان يقفز الى شرفة منزلها عندما اطلق جنودكم النار على المتظاهرين ..

قال الضابط محتدا :

– وهل بوسعك ان تنكر انها كانت تضمد جراحه ؟

الاشعة الحمراء اصبحت فضية .. السحابة الصدئة تنهزم امامها .. النجوم الباهتة تتلاشى في غمرة الضياء .. صرير اللعبة من خلفها تدرج على البلاط .. ضحكات احمد تعلو وتنخفض تباعا مع حركتها .. الدبابة ككومة من الفحم الاسود ما تزال هناك تتربص .. صوت رصاص متقطع يأتي من بعيد .. ربما كانوا يقتلون احدا .. او ربما كان الفدائيون ينفذون عملية ..

للمرة الالف تعود الصورة الى ذهنها . ذلك كله حدث منذ الظهيرة .. منذ ساعات فقط ..

الهتاف يأتي من بعيد قادما من الطرف الغربي للمدينة .. تبادر الى اغلاق الراديو .. تطفىء فرن الغاز حتى لا يفور حليب الطفل ، تهرع الى الشرفة . الغبار يملأ الفضاء .. النساء والاطفال على الشرفات .. الاصوات الثائرة تقترب . ترهف سمعها .. الهتاف صاخب لكنه غير واضح .. ماذا يقولون ؟ قطعا هم ينددون بالاحتلال .. الاصوات تعلو وتعلو .. التفاصيل تتضح اكثر فاكثر .. اعلام مرفوعة .. رجل يحملونه على الاعناق يهتف ، يردد شعارا تردده جموع المتظاهرين من ورائه، ملوحين بايديهم مندفعين بصدورهم .. آن .. كان .. يا ديان يا جبان ..

يا صهيوني اخرج بره ، ارض بلادي دايما حرة .. كلنا فدائيون .. كلنا فدائيون ..

تختنق الغصة بالفرحة في حلقها معا .. ها نحن نصنع شيئا .. وشيئا رائعا .. من قال ان السلاح وحده يحسم المعارك ..؟ صوت الرصاص يختلط بالهتاف .. صوت الرصاص اعلى لكنه سريع التلاشي .. الهتاف يتردد في سمعها موقعا موزونا .. عميقا راسخا .. كالجبل الراسي صامدا متحديا ..

المظاهرة اصبحت تحت الشرفة .. الجماهير كالطوفان .. « ثورة الانسان اقوى من كل قوة حقا ..»، هكذا قال لي خالد يوما ..

قفز شاب الى الشرفة .. قطرات دم من يده رصعت البلاط ..

– معذرة يا اختاه .. اضطررت للجوء الى منزلك .. للحظات لم تتمكن من ان تقول شيئا .. ثم احست بواجبها نحوه .. بل خفق قلبها عطفا عليه .. ودعت الله في سرها ان يحميه ..

– ادخل يا اخي .. ادخل .. هذا منزلك .. اجلس .. استرح على هذا المقعد .

وجهه الاسمر المستطيل محتقن .. عيناه حمراوان والعرق يغسل وجهه . شعره الفاحم تنسدل خصلات منه على جبينه وفوق اذنيه ، يمسك بيده السليمة يده الجريحة ، يصر على اسنانه ، يعض شفته السفلى :

– لعلي ازعجتك يا اختاه ..؟

– ابدا .. هذا اقل ما ينبغي ان افعل من اجل اخ مناضل .. انتظر قليلا من فضلك .

عادت بعد لحظات تحمل لفافة من الشاش وزجاجة دواء ، ولكن قبل ان تمد يدها ، كان جنود الاحتلال يقفزون الى الشرفة صائحين :

– ارفعوا ايديكم .. وانت ايتها المراة ارفعي يديك ايضا .. كالكابوس الرهيب .. كالحلم المرعب لا يود المرء ان يستعيده في ذاكرته ، لكنه مع ذلك يعود ..

حتى اسمه لم تعرفه ، يمضي معهم رافع الراس ، شامخ الجبين، يقذف بنظرات الحقد والاحتقار في وجوههم . الهزيمة تتبدى على تلك الوجوه رغم البنادق ، وبوارق النصر تتراءى على هامته رغم الجراح .

لا حركة من خلفها . تلفتت وجلة : احمد ؟ جسده الصغير مسجى على البلاط، ركبتاه مثنيتان توشكان ان تلامسا صدره. وبسمة ملائكية على شفتيه المطبقتين ، واللعبة عند قدميه .

حملته الى سريره في خفة محاذرة ان يصحو . دثرته بلحاف سميك .. ربتت على وجنتيه ، طبعت على خده قبلة ، وعادت الى مكانها من الشرفة .

القمر يحاول ان يتسلق قبة السماء ، والدبابة ما تزال قابعة عند المنعطف . لم تنم سلمى .. ولم ينم الذين في الدبابة . هي تحرس آمالها وهم يحرسون الحديد .. افكارها تطوف الكون كله ، الارض والقمر والسماء يحملها الامل على

عودة النور

صبـي حنانـك فـي الفؤاد الصادي   وخـذي اليـك مواسـم الانشـاد
فالفجـر فـي عينيـك فيـاض السنا   سكب الامـانـي فـي كؤوس الـوادي
فتفتحـت فيــه الازاهــر غضــة   تهـدي الطيـور معطـر الميعـاد
كـم بـت حيـران العيـون مشتت الافكـار .. مقـرونا بـلا أصفـاد
الصمت يغمرنـي بالحـان الصـدى   فأتيـه فيـه علـى مـدى الابعـاد
وأفيق مـن حلـم الوجـود فـلا أرى   الا النجـوم تلـوح كـالاشهـاد
فاقول : هـل بكت النجـوم أم أنهـا   ضحكت .. لان المـوت فـي الميلاد

كاسـي الحزيـن ممـزق الشفتيـن   مقروح الحشا.. خاوي البيادر.. صاد
يشتـاق للغيمـات تمسـح وجهــه   بـرذاذهـا   الموعـود بالاسعـاد
فلعل .. يغمر وجهـه عشب النـدى   مـن بعـد نـار مناجـل الحصـاد
عـادت الـي مواسمي مـن غربـة الاحـزان عـودة ضائـع الـرواد
عادت الـي وفـي العيـون مناهـل   وعلـى الغصون حـداء طيـر شـاد

عمان ــ الاردن   مامون جرار

اجنحته ، الامل في غد افضل .. في نصر لا بد وان يتحقق، وافكارهم حبيسة جدران الدبابة الحديدية ، تصور لهم اشباحا مرعبــة حيث لا أمل لهم ولا خلاص ، يتلفتون في كل لحظة من حولهم .. يتمثل لهم الفدائي في كـل شيء ، في همسة ريـح او مـواء قط .. في حفيف شجرة او صرير باب ..!

تجمع الناس في الغـداة قـرب المنزل يلقون عليــه نظـرة الوداع الاخيرة .. بعد ساعة لــن يكون قائما هذا البناء .. وسلمى بينهم تمسك بيد احمد .. يظن الصبـي انهم سيحضرون عرسا . لا احــد يقول شيئا .. الصمت مطبـق .. النظرات وحدها تقول ..

تكاد لا تصدق ان من يفعل هذا ينتمي الى عنصر البشر .. اي قلوب يملك هــؤلاء ..؟ أحقــا سوف يطيحون بشرفتنــا الجميلــة ، بقرميدها الاحمـر ، باصص الزهر المرصوصة ، بسرير احمد ، بغلايـة الحليب ، بشجــرة الياسمــين الوديعة ؟

قال رجل مكفهر الوجه من بـين المتجمهرين : ــ ليكـن .. الحجارة هي الحجارة سواء كانت قائمة على شكل بناء ، او متناثرة علـى شكل انقاض .. وضع الحجارة على هذا الشكل او ذاك لن يغير من مصيرهم المرتقب ..! اجل لن يغير هذا في النتيجة النهاية شيئا ..!

الجنود يحيطون بالمنـزل شاكـي السلاح ، علـى رؤوسهم خـوذ حديدة ، كانهم في ميدان معركة ، ينظرون الــى الجمهور بقلــق ، تفزعهم النظرات الجامدة اللامكترثة .. تقول لهم :

.. افعلوا ما شئتم فنحن باقون .. اخلعوا الحجارة من مكامنها .. اهدموا الابنية .. اقتلعوا الاشجار .. مزقــوا وجــه الشمس ان استطعتم .. لكننا هنا باقون ..

كان النشيد الصامت اقوى مــن صوت الديناميت حين تفجــر .. هرعوا الى عربتهم المصفحة .. كان هنا بناء .. تحركت سحابة غبار ، ترتفع شيئا فشيئا الى الفضاء .. وتحرك الجمهور يحتضن سلمــى تمسك بيد احمد ، بينما اللعبة تحت ابطه ، وبيده الاخرى كسرة خبز ..

يمضيان بالدموع في عيني سلمى والذهول في عيني احمد .

دمشق   يوسف جاد الحق

معاوية الدرهلي - احمد حجازي

الدكتور موسى الحسيني - فوزي الكيالي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ - معاوية الدرهلي

ولد « معاوية » في مدينة « يافا » بفلسطين سنة ١٩٢٧ وانهى دراسته الابتدائية وبعض الثانوية في مدارس يافا ونابلس وجنين . وفي سنة ١٩٤٢ اختارته ادارة المعارف العامة بفلسطين بعثة للكلية العربية في بيت المقدس وفي سنة ١٩٤٤ نال « معاوية » المترك الفلسطيني وفي سنة ١٩٤٦ احرز شهادة الدراسة المتوسطة مع شهادة التربية وتقديرا لذكائه ونباهته اوفد في بعثة الى بريطانيا وامضى فيها اربع سنوات . وفي سنة ١٩٥٠ احرز منها على بكلوريوس في التاريخ والعلوم السياسية ، وفي سنة ١٩٥٣ حصل على شهادة الماجستير وعين في جامعة درهام (شمالي بريطانيا) استاذا للدراسات العربية (من ١٩٥٠ الى ١٩٥٦) وفي تلك الاثناء عين مشرفا اخلاقيا في « يونيفرستي كوليج » بجامعة درهام كما عين فاحصا للغة العربية في امتحانات « جي. سي. اي » للمستوى العالي للغة العربية ، كما زار تركيا ومصر والعراق وسورية ولبنان والاردن للابحاث وتونس واليمن وعدن للتعرف على الاقطار العربية .

وفي سنة ١٩٥٦ ترك العمل في جامعة درهام وعين رئيسا لقسم الاحاديث العربية في محطة الاذاعة البريطانية بلندن ، وفي سنة ١٩٥٨ انفك عن العمل في الاذاعة البريطانية والتحق بشركة نفط الكويت المحدودة ويشغل فيها الناظر العام لدائرة التطوير الوظيفي والتدريب.

أحب الاستاذ الدرهلي الادب العربي اذ وجده مترعا بالصور الفنية الخصبة ، بالاضافة الى اعجابه بالادب الغربي . وخلال عمله في الاذاعة البريطانية اذاع طائفة من الاحاديث الادبية والتاريخية والقصص القصيرة .

وكانت باكورة نفثات قلمه مقالا نشرته مجلة « الكتاب » القاهرية بعنوان « اللغة العربية في معاهد العلم الاوربية في القرون الوسطى » ومقالا آخر بعنوان « محمد اقبال رائد الدولة الاسلامية » كما نشر في مجلة « الاديب » قصصا قصيرة منها : زواج اديب ، البيت الكبير ، زقاق البطة ، مخطوطة للبيع . وقد ترجم للمجلة البريطانية « اسلاميك ريفيو » مقالات تناول فيها الموضوعات الاسلامية عامة ، كما راجع كتاب « روائع التراجيديا في الادب العربي المترجم بقلم الدكتور محمود السمرة عميد كلية الآداب بالجامعة الاردنية .

نموذج من شعره : قرض معاوية الشعر في سن مبكرة . وكلما خطر في ذهنه خاطر او الم به هاجس سجله شعرا . ومن شعره الطافح بذكريات الوطن المغصوب ، ناهيك بيافا الحبيبة ، وفيها مدارج طفولته قوله :

حكى اخي حكاية ، ليت اخي لم يحكها
قصة حب مفجع قد ضيعت منه النهى !
قال اخي :
هل تذكر المعرشا ؟
نجلس تحت الداليه
كنا هناك للعشا
وجمعنا ثمانيه
أمي واختي وأبي
واخوتي حواليه
اذ سقطت قنبله
دوت بكل ناحيه
لكنها من لطفه
هوت بارض خاويه
ثم هربنا نحتمي بدار أمن نائيه
لخوفنا من ثانيه !
من تل ابيب قادمه من الايادي الآثمه
وفي الصباح عندما
عدنا الى البيت ، الحمى
اذا به تهدما
لم يبق منه قط ما
يمكن ان يلملما
قد سقطت قنبلة
ودكت المعرشا
والتهمت حتى العشا
واشعلت نار الحشى
اذ احرقت لي الداليه
والآن في المنفى معي
من رملها المشبع
بانهر من ادمعي
تذكار حزن لا يعي
حزنا دفينا موجعي
منذ احتراق الداليه
ذا كل ما املكه ذكرى البلاد الغاليه
تلك اذن قصته لكنني أشقى بها
عند اخي تذكاره من ارضنا من رملها
أما انا فلاجيء أبكي على فقدانها
وليس عندي مثله تذكاره من أرضها !

نموذج من نثره : ومن القصص القصيرة التي عالجها الاستاذ الدرهلي القصة التالية وهي بعنوان « ليلة القدر » وقد عربها عن الادب الامريكي :

« ارتفع صوت المؤذن من المسجد القريب يدعو الى صلاة العشاء، وتسرب صوته الى ردهة البيت حيث جلس الصبي « علي » وأبوه وجدته ، فقد كانت تلك الردهة غرفة للاكل والجلوس لهذه الاسرة المتواضعة ، وكان الاب صامتا في جلسته ضيق الصدر ، منقبض النفس لا يدري سببا لتصاعد كآبته تلك الليلة . وكانت الجدة تكلم حفيدها بصوت خفيض حين بلغ المؤذن « حي على الصلاة حي على الفلاح » فنهضت من مقعدها وفرشت السجادة ارضا وانتصبت للصلاة . وسمعها الصبي تردد « حي على الصلاة حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة . الله اكبر » .

ثم ساد الغرفة صمت مطبق يقطعه احيانا زفير الاب او تنهدة صادرة من اعماقه . وجلس « علي » حائرا في الغرفة ينظر الى ابيه آنا يود التحدث اليه فيرتد عن عزمه لئلا يقطع على ابيه حبل خواطره

او لئلا ينهره ابوه اذا بدرت منه حركة تضايقه ، ويتطلع الى جدته ريثما تفرغ من صلاتها ليجلس اليها جريا على العادة كل مساء لتقص عليه من قصصها المحببة الى نفسه .

ورأى « علي » اباه يتناول الصحيفة عفوا وهو لا يدري اهي صحيفة اليوم او صحيفة الامس او صحيفة المستقبل اذا كان للمستقبل صحف تنبىء عما تضمره الايام له ولامه ولابنه . لم يتناول الاب الصحيفة ليقرأها بل ليتلهى بها ، واخذ يقلبها شاردا دون وعي او ادراك كما يحدث مع الساهم التائه في متاهات الفكر الغامض الخفي !

وتأفف الوالد من جديد تأفف الحانق الموتور بل تنهد الحزين اليائس ... وتململ « علي » في جلسته وتمنى لو ان والده يخرج الى المقهى كما كانت عادته في الماضي ، لاغتنم فرصة انشغال جدته بالصلاة ولاسرع الى الخزانة يأخذ منها ما يشتهيه من الحلوى او يخرج منها ملعقة وسكينا يضرب هذه بتلك محدثا موسيقاه العابثة ، آمنا ان جدته المشغولة بصلاتها ، وكل ما كانت تفعله اذا لاحظت فعلته ان ترفع صوتها وهي تقرأ « الفاتحة » او « التحيات » لتنبئه بانها احست بفعلته وانها تستقبح ما فعل . ولكن ما في رفع صوتها في الصلاة من خطر عليه وما تلبث ان ترضى عنه حين تفرغ من صلاتها اذ يراضيها بالعبارة التي حرص على ترديدها لجدته اذ علم انها ترضيها « مقبولة صلاتك يا ستي » ثم يسألها ان تروي له قصة فتقبله وتبدأ قصتها « كا يا ما كان ، يا سعد الاكرام ، واللي يحب النبي يقول عليه اشرف السلام » ثم تضيف « واللي يحب علي يقول عليه السلام » فيضحك الصبي ضحكته البريئة مسرورا ظانا انها تعنيه بجملتها تلك فتبادله ضحكته وتبدأ قصتها بعد ان تكون قد نسيت او تناست « شيطنة » حفيدها و « رنات » الملعقة والسكين ... لو ان والده يخرج الى المقهى ! ولكن « ابا علي » توقف عن الذهاب الى المقهى ليلا منذ ثلاثة شهور او نحو ذلك ، منذ تلك الليلة الحزينة حين ذرف الجميع دموعا سخينة ، واخذ يجلس في البيت مساء كل يوم ساهما مطرقا ضيق الصدر !

ونظر الصبي الى جدته فرآها تسلم الى اليمين ثم الى اليسار ، وكان يعلم ان ذلك يعني نهاية الصلاة . لقد جاء الفرج اذن فقام متجها نحو جدته والقى عليها جملته المأثورة : « مقبولة صلاتك يا ستي ! » ولكنها لم تجب ، فقد جلست متربعة واخذت السبحة الطويلة ـ ذات المئة حبة ـ وواصلت تمتمتها ودعواتها ... واحتار الصبي في امره .. جدته لا تجيبه بل تتابع دعواتها على غير مألوف عادتها ، ووالده يلوذ بالصمت . وخرج الامر على طاقة الصبي وبجرأة تقدم من والده وسأله متهيبا : « متى تنتهي جدتي من صلاتها ؟ ما بالها قد تأخرت اليوم ؟ ماذا تفعل وقد القت السلام عليكم ورحمة الله مرتين ـ الى اليمين والى الشمال ؟ اريدها ان تقص علي قصة ! » ثم رفع عقيرته حانقا « لقد سئمت الجلوس وحدي ! » وبدا عليه الانفعال ... وكأنما أفاق الوالد من شروده ... وتذكر ابنه ، وتمثل في جملته ما يشعر هو به من الوحدة ... فنظر الى وحيده بعطف ثم طوقه بذراعه وقال له « كلمني بدلا من جدتك ... تريد ان تعرف لماذا تأخرت في صلاتها ؟ لانها غارقة في دعواتها .. فالليلة ليلة القدر » . لم يدرك الصبي ما « ليلة القدر» فأخذ الوالد يردد بصوت مسموع ما تذكره من القرآن الكريم . ثم التفت الى ابنه وقال انها ليلة مباركة يا بني من ليالي رمضان تكون فيها ابواب السماء مفتوحةوتسمع دعوات المصلين الصادقين وتستجاب، وها هي جدتك تتوجه الى الله عز وجل بالدعوات من كل قلبها وتصلي مخلصة بقلب نقي .

قال علي : وهل حقا تقبل الدعوات وتستجاب يا أبي ؟

ـ ان الله كريم يا بني ، يجيب من يدعوه بقلب سليم .

ـ ولم لا تصلي انت كما تصلي جدتي ؟

ـ اصلي من اعماق قلبي يا بني !

ـ سأصلي انا اذن يا أبي وادعوه اذ ربما يستجيب دعواتي !

واسرع علي الى حيث جلست جدته ووقف بجانبها واخذ يقلدها في ركوعها وسجودها ثم تربع بجانبها على الارض واخذ يتمتم بكلمات مبهمة ، ومد يده الى المسبحة يريد انتزاعها من يد جدته التي رفعت من صوتها وجذبت السبحة بقوة فاكتفى الصبي بان شاركها التسبيح فلم تمانع .. وبعد فترة فرغت الجدة من دعواتها ومسحت وجهها بيديها ثم قبلت حفيدها ، فقال لها جملته المعهودة فاجابته « تقبل الله منك ايضا » ثم اضافت « هل طلبت من الله شيئا ؟ » اجابها « نعم.. ولكني سأبقيه سرا ... والان قصي علي قصة الشاطر حسن ! » .

وتدخل الاب في الامر وقال : « لقد تأخرت في سهرك وعليك الذهاب للنوم » واخذت الجدة حفيدها الى غرفتها وظل الوالد في موضعه ، وما لبث ان سمع ابنه يقول لجدته : « هل تريدين ان تعلمي ما طلبت من الله ؟ » فقالت جدته مداعبة : « ولكن الا تريد ابقاءه سرا ... على كل لا سر بيننا اخبرني ! » فقال « علي » بصوت هامس: « سأطلعك على السر شريطة الا تخبري والدي ! » .

وسمع الوالد ابنه يقول لجدته همسا « طيارة تدار بالزمبلك ! » فأقفل باب الغرفة على الجدة ووحيده وجلس وحيدا ... لكنه ما لبث ان نهض من مكانه وخرج الى شوارع المدينة يمتع الطرف بمباهج ليالي رمضان .. هذه المقاهي مشعشعة الانوار وغاصة بالناس ... وهذه الشوارع زاخرة بالغادين الرائحين من الشباب والبشر يملو وجوههم بعد عناء الصوم ، واخذ يسرع في خطوه حتى وقف امام البقال « فتحي » الذي يقوم حانوته في قلب الحي الذي يقطنه ، وما ان رآه حتى رحب بأبي علي واشار عليه بالجلوس ، فسأله أبو علي : « هل لديك مجموعة من لعب الاطفال ؟ » فأومأ البقال الى موضع الالعاب وراح ابو علي يستعرضها لكنه لم يجد (الطيارة) التي يحلم بها وحيده ... فسأله ان كانت لديه طيارة تدار بالزمبلك ، فبادر « فتحي » الى عرض طائرتين من الحديد الملون ، فاعجب « ابو علي » باحداهما واصطحبها الى البيت واسترق الخطى الى غرفة علي ووضع الطيارة بالقرب من سرير ابنه وانصرف الى غرفته مطمئنا قانعا ... واستسلم الى الكرى !

وفي الصباح سمع الطيور تزقو على الشجر ، والباعة ينادون مدللين على سلعهم « احلى من العسل يا تين ! » « زي خد البنت يا تفاح » وما الى ذلك ، فاصاخ السمع لاولئك الباعة وراح يربط بين الصوت وصاحبه : هذا « احمد » بائع التين ... لن يشتري منه أبدا ... فالتين الذي باعه اياه آخر مرة كان فجا ... وهذا «شعبان» بائع التفاح الذي خطب مرات كثيرة ... لكنه لم يجرؤ على الزواج.. وهذا صوت ابنه « علي » يقول لجدته بلهفة واندفاع : « انظري ما اجملها يا ستي ... انظري هل رأيت اجمل منها في حياتك ؟ » فاقرته جدته على رأيه !

وسألها « علي » : وهل تطير بنفسها يا ستي ؟ تعالي الى الشارع لنجربها معا ! وعاد يسأل جدته : وهل تطلبين من الله شيئا في دعواتك وتحصلين عليه ؟ فاجابته : نعم يا ابني اذا كنت مخلصة في دعائي ... واذا كان الله يريد ذلك ويظنني في حاجة ماسة اليه ! فقال الصبي وهو ما يزال يقفز من الفرح « وهكذا حصلت انا على هذه الطيارة ... هذا ما طلبته من الله البارحة ... وصليت من اجله بقلب « سليم » كما قال لي أبي !

وصمت علي لحظة كأنما يود الافضاء بسر ... ثم قال بانفعال « كانت هذه المرة تجربة لله ... وقد نجحت ... وسأنجح في المرة القادمة اذ سأدعو الله في ليلة القدر لان يلبي اعز مطلب اتوجه به اليه » !

فسألته جدته وقد بدا عليه الاهتمام « وما هو ذلك المطلب يا علي ؟ »

اجاب : أليست امي عند الله في الجنة ؟ سأطلب منه ان يرجعها الي ، فانا بحاجة اليها !

وقبل ان تجيب الجدة بكلمة ناداه والده اليه ، فهرع « علي » الى غرفة أبيه حاملا طيارته الملونة بزهو واعتزاز وقال : انظر يا ابي ، لقد اخبرت جدتي كيف حصلت عليها ... أليست جميلة ؟ وبرفق مال أبوه عليه وانهال عليه بالقبلات ثم قال له : « سرني ان تعجبك هذه الطيارة ... انها اكبر طيارة عثرت عليها البارحة في حانوت فتحي !

فلاذ الصبي بالصمت وخرج يحمل طيارته الى غرفة جدته وهو لا ينبس ببنت شفة !

٢ ـ أحمد محمد حجازي

ولد « احمد » في قرية « طمره » بقضاء عكا فلسطين عام ١٩٢٦ واتم مراحل دراسته في مدرسة قريته ومدرسة عكا الثانوية والكلية الرشيدية بالقدس ، وقصد لندن والتحق بجامعة ليدز في بريطانيا وبمعهد لنكولن للحقوق في لندن وحصل منهما على :

١ ـ شهادة ال. ال. بي بمرتبة الشرف ، ٢ ـ شهادة باريستر ـ آت ـ لو .

وبعد تخرجه عين مساعدا للنائب العام فمساعدا للمستشار القانوني في حكومة برقة بليبيا (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣) ثم عاد الى لندن وعين مساعدا حقوقيا في وزارة الخارجية البريطانية (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) فقاضيا بالمحكمة البريطانية في الكويت وامارات الخليج العربي (١٩٥٤ ـ ١٩٦١) فمستشارا قانونيا لشركة نفط الكويت ، ثم اصبح رئيسا للعلاقات الحكومية فمساعدا لرئيس الادارة في شركة نفط الكويت .

من آثاره القلمية : نشر الاستاذ « احمد » مقالا قيما عن الكويت في مجلة « ذي اميركان جورنال اوف كومبارتف لو » تحت عنوان « الكويت : تطورها من محمية شبه قبلية الى دولة ديموقراطية ذات سيادة » .

نموذج من نثره : « ان افضل نقطة للبدء بهذا البحث هي المعاهدة البريطانية ـ الكويتية المعقودة في عام ١٨٩٩ والتي قطع فيها لحاكم الكويت في ذلك الحين (وخلفائه في الحكم) وعد بالحماية من الاعتداءات الخارجية وبعدم التدخل في شؤون الكويت الداخلية . ولقاء ذلك حظرت المعاهدة على الحاكم اقامة علاقات دبلوماسية مع اي دولة اجنبية اخرى او نقل ملكية اي جزء من اراضيه الى اي دولة اجنبية اخرى او شخص اجنبي آخر دون الحصول على موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية . وقد اصبحت الحكومة البريطانية بموجب هذه المعاهدة مسؤولة عن جميع الامور المتعلقة بالشؤون الخارجية كما ان الممثل البريطاني في الكويت اصبح بالفعل وزير الشؤون الخارجية لدى الحاكم . وبعد فترة من الزمن وفي عام ١٩٢٥ على وجه التحديد ادت هذه المعاهدة نفسها الى اقامة سلطة قضائية بريطانية في الكويت منفصلة تمام الانفصال عن السلطة القضائية الوطنية ولكنها تتمشى معها جنبا الى جنب . وقد يقول البعض انه بما ان المعاهدة لا تتضمن اي نص يتعلق باقامة سلطة قضائية اجنبية كما انها تضمن عدم التدخل في الشؤون الداخلية في الكويت ، فان اقامة السلطة القضائية البريطانية يعتبر خرقا للنصوص الصريحة الواردة في المعاهدة . والجواب المختصر عن هذا القول هو ان هذه السلطة انما اقيمت بموافقة الحاكم .

والآن ، لنستعرض باقتضاب السلطة القضائية الوطنية . فهذه الاخيرة كانت تشمل جميع المواطنين الكويتيين ومواطني الدول العربية المستقلة والايرانيين ومواطني امارات الخليج العربي الواقعة تحت الحماية البريطانية . وقد تم اول اتصال لي بهذه السلطة في عام ١٩٥٤ عندما عينت في منصب مدير المحكمة البريطانية في الكويت . ففي ذلك الوقت كانت السلطة القضائية الوطنية شبه قبلية نسبيا اي انه باستثناء امور الاحوال الشخصية التي كانت ولا تزال تخضع للشريعة الاسلامية ، لم يكن هنالك اي قوانين مكتوبة او اجراءات او محاكم معينة . ومع انه من الصحيح القول من الناحية النظرية ان احكام المجلة كانت القانون الساري المفعول في البلاد ، الا ان هذا القانون لم يكن من الناحية العملية الا ضمير الشخص الجالس على كرسي القضاء . ومع انه من الصحيح القول انه كان يوجد في ذلك الحين ما عرف بادارة المحاكم . الا انه في نفس الوقت كان لمختلف الادارات الاخرى « محاكم صغيرة » منفصلة خاصة بها . مثال ذلك كانت ادارة البوليس تحاكم جميع الاشخاص الذين تلقي القبض عليهم دون ان تكلف نفسها الا نادرا ، عناء احالتهم على المحاكم . وكذلك كانت تفعل ادارة الامن العام وادارة الجمارك وادارة البلدية . وقد كان لكل من الادارتين الاخيرتين « محاكمها الصغيرة » المنفصلة .

اما السلطة القضائية البريطانية فكانت تشمل جميع الاشخاص الاخرين في الدولة . والواقع ان هؤلاء « الاشخاص الاخرين » كان معظمهم من الرعايا البريطانيين ومواطني جميع دول الكومنويلث البريطاني واكثرهم من الهنود والباكستانيين وكذلك من مواطني الولايات المتحدة الاميركية مع عدد قليل من اليونانيين والالمان والايطاليين الذين جاءوا الى الكويت نتيجة الازدهار الاقتصادي الذي رافق تطور صناعة النفط . وعلى وجه التقريب كانت هذه السلطة تشمل حوالي ٣٠٠٠ شخص (مقابل ٢٥٠٠٠٠ شخص يخضعون للسلطة القضائية الوطنية) . وكانت السلطة القضائية البريطانية تدار وفقا للانظمة المتبعة في بريطانيا . اذ ان القوانين والاجراءات السارية المفعول كانت ترتكز على المبادىء الانكليزية كما ان سير العمل في المحاكم كان مماثلا لما هو في اية محكمة انكليزية في بريطانيا مع فرق واحد هو عدم وجود نظام المحلفين في الكويت . مع انه كان هناك نظام شبيه بنظام المحلفين.

ومع ان الفرق بين هاتين السلطتين القضائيتين كان شاسعا ، فقد تعين عليهما في كثير من الحالات ان يعملا سوية . وهذا ما فعلاه خلال سنوات عديدة . وقد حدث ذلك فيما عرف بالقضايا المختلطة ، وهي القضايا التي لا يخضع فيها الاطراف لنفس السلطة القضائية . ففي هذه القضايا ، كانت جنسية المدعى عليه وليس المدعي هي التي تحدد المحكمة المختصة بالنظر في القضية . فاذا نشب خلاف تجاري بين تاجر كويتي ورجل اعمال اميركي وكان الكويتي مدعيا فان القضية ترفع الى المحكمة البريطانية للبت فيها . اما اذا كان الاميركي هو المدعي فان القضية ترفع الى المحكمة الوطنية . وكذلك في القضايا الجنائية فقد كانت المحكمة التي يخضع لسلطتها المتهم وليس محكمة مقدم الشكوى، هي دائما المحكمة المختصة لمحاكمة المتهم بجرم معين .

وكانت المرافعة في هذه القضايا تتم دائما بحضور مسؤول يمثل السلطة القضائية التي يخضع لها المدعي او مقدم الشكوى . والغاية من ذلك هي التأكد من ان يتاح للمدعي او مقدم الشكوى (الذي كان ـ اذا جاز التعبير ـ غريبا عن السلطة القضائية التي تنظر في القضية) فرصة معقولة لعرض قضيته على تلك السلطة .

وقد كان من الطبيعي ان يؤدي وجود هاتين السلطتين القضائيتين المنفصلتين انفصالا تاما الواحدة عن الاخرى ضمن اراضي دولة واحدة ، الى نشوء عدة مشاكل قانونية مهمة تتعلق بممارسة الاختصاص وتنازع القوانين وغيرها من المسائل ، وكذلك الى حصول ظلم في بعض الحالات كما يمكن ان نوضح ذلك بايراد بعض الامثلة : ما هو مثلا وضع شخص يتمتع بجنسية مزدوجة لبنانية وبريطانية ؟ هل يخضع هذا الشخص عندما يكون في الكويت الى القضاء الوطني او البريطاني او كليهما معا؟ ومثل آخر هو كيف كانت المحكمة البريطانية او المحكمة الوطنية تؤمن حضور شهود لا يخضعون لسلطة هاتين المحكمتين ؟ ومثل ثالث ـ ما هو

القانون الواجب التطبيق في « القضايا المختلطة » ؟ وهنا ينبغي الاشارة الى ان المرسوم الاميري الكويتي الصادر في عام ١٩٥٣ والذي ينظم ممارسة السلطة القضائية البريطانية ، لم يأت على ذكر اي شيء من هذا القبيل . ولعله من المهم ايضا ان نشير الى ان هذه الامور ليس لها مجرد اهمية تاريخية . فعلى الرغم من ان الكويت قد تخلصت من هذه الازدواجية في القضاء ، فان هذه الازدواجية لا تزال سائدة في البحرين وقطر وامارات ساحل عمان . والسلطتان القضائيتان البريطانية والوطنية لا تزالان تعملان في هذه البلدان جنبا الى جنب ولكن في قنوات مختلفة » .

٣ ـ الدكتور موسى يونس الحسيني

ولد « موسى » في القدس عام ١٩١٥ وتلقى تعليمه في كلية روضة المعارف الاهلية ، وبعد ان حصل على شهادتها الثانوية عام ١٩٣٢ دخل الجامعة الاميركية في بيروت وحصل عام ١٩٣٥ على شهادة بكلوريوس في ادارة الاعمال « بامتياز » .

وبعد تخرجه من الجامعة الاميركية عمل مساعدا للمحاسب العام ومدقق الحسابات في مؤسسة سابا وشركاهم بالقدس حتى نهاية ١٩٣٧ ثم عهد اليه بادارة شركة المنشورات العربية بالقدس ، ومنذ عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٣٩ كان المحرر المسؤول لنشرة وكالة الانباء العربية اليومية بالقدس فالمدير الاداري لشركة التجارة المتحدة ثم عمل مراسلا لوكالة « هافاس » فمستشارا للبنك الزراعي العربي في فلسطين . وفي عام ١٩٤٠ عين مديرا عاما لشركة دور السينما الوطنية الفلسطينية بيافا . ومنذ عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٤٨ زاول طائفة من الاعمال الحرة وتعاطى الاتجار بالذهب ، كما كان عضوا في مجلس التحكيم الفلسطيني الذي الفته حكومة الانتداب في فلسطين النظر في النزاعات بين العمال واصحاب العمل .

وبعد النكبة الاولى التي شردت عرب فلسطين ، وطوحت بهم الى فجاج الارض قصد « موسى » دمشق وعين مديرا عاما لشركة الغزل والنسيج ، وخلال صيفي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ كان المساعد المالي ومدير البرامج الصيفية في الجامعة الاميركية ببيروت كما كان عميدا لطلاب هذه الجامعة .

وفي عام ١٩٣٩ حصل على رخصة مثمن اراض من حكومة الانتداب في فلسطين حيث يسمح له بالمثول امام مختلف المحاكم كمثمن للاراضي ثم التحق بالجامعة الاميركية في بيروت وحصل على شهادة ماجستير في ادارة الاعمال ـ علم الاقتصاد التطبيقي وعنوان الاطروحة التي قدمها : « النظرية والسياسة المالية الحديثة » ثم ام الولايات المتحدة ودخل جامعة مشيغان وحصل على شهادة (الدكتوراه) في ادارة الاعمال وكان موضوع الاطروحة « ارباح الشركات ورأس المال في المشاريع التجارية خلال السنوات العشر بعد الحرب » .

وفي صيف عام ١٩٦٢ اشترك في الاجتماع السنوي العام لاعضاء عمد الكليات والجامعات الاميركية الذي تبنته اللجنة المشتركة للتعليم التي تمثل الاعمال المتعلقة بالسندات المالية الاميركية وكانت كلية الاعمال في جامعة نيويورك هي المضيفة . وفي صيف هذا العام كان مبعوثا بمقتضى برنامج تبادل المبعوثين لاعمال الكليات الذي تبنته مؤسسة التعليم الاقتصادي . ومنذ (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦) كان رئيسا لفرع العلوم الاجتماعية في كلية « الما » في مشيغان وعضوا مقيما للمجلس الاستشاري لرئيس الجامعة ، وعضوا في المجلس الاستشاري للعميد وفي لجنة المناهج .

وفي اعقاب عام ١٩٦٦ بارح الولايات المتحدة الى الكويت ليعمل مستشارا ماليا لصندوق التنمية العربي الكويتي وما زال على رأس عمله .

من آثاره القلمية : كتب الدكتور الحسيني مقالا علميا مستفيضا في مجلة (البحث) الريفية التي تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت عنوانه « تطورات جديدة في المحاسبة » ووضع دراسة شاملة للاحوال الاجتماعية للاجئين الفلسطينيين قدمها لمؤتمر خريجي الجامعة الاميركية في بيروت الذي عقد للنظر في مشاكل العالم العربي عام ١٩٥٤ وكان عنوان تلك الدراسة «المشكلة الاجتماعية للاجئين العرب الفلسطينيين»، كما وضع بحثا طريفا نشرته مجلة (البحث) الريفية بعنوان : « الشركات : سياستها المالية وآثارها في التنمية الصناعية » وقام ببحث علمي كلفته وضعه جمعية المشاريع الاميركية بواشنطون عنوانه : « تكوين رأس المال المشترك والتنمية الاقتصادية » وله دراسة شاملة ظهرت في وثيقة عنوانها « مناطق مختارة في تصلب الاقتصادي الاميركي » اتخذت قاعدة لمشروع الاستخدام في الاقتصاد الاميركي الديناميكي ، وهي دراسة اعدت للجنة السياسية الجمهورية التابعة للكونغرس الاميركي . ولا يفوتنا التنويه مكررا بالاطروحة التي قدمها للجامعة الاميركية في بيروت لنيل الماجستير بعنوان « النظرية والسياسة المالية الحديثة » والاطروحة التي حصل فيها على شهادة الدكتوراه من جامعة مشيغان في الولايات المتحدة بعنوان « ارباح الشركات ورأس المال في المشاريع التجارية خلال السنوات العشر بعد الحرب » .

نموذج من نثره : « لقد كانت نكبتنا نحن عرب فلسطين نعمة لسائر البلدان العربية اذ ايقظت شعوبها من سبات عميق ، ونبهتهم الى اخطار جسام لم يقيموا لها الوزن الكافي .. حتى حلت المأساة فرأوا بام اعينهم الخطر يتهدد كيانهم ، فما افاقوا من الصدمة حتى بادروا الى تدارك بعض مواطن الضعف ، وما هذه الاحداث التي تنطلق من الاقطار العربية الا نتيجة مباشرة لمأساة فلسطين ، وهذا الدرس الذي تلقته الاقطار الشقيقة وتحاول الافادة منه ، لحري بنا نحن عرب فلسطين ان نعيه اكثر من سوانا فنتفادى عثرات الامس ونستاصل مواطن الضعف ونتلمس طريق الخلاص بالعمل والاتحاد والنظام .

ان اكبر خطأ ارتكبه عرب فلسطين ومن ورائهم الدول العربية بعد النكبة الاولى هو قبول الغوث الذي تقدمت به هيئة الامم ، ذلك ان الهدف منه لم يكن نبلا انسانيا كما قيل ... بل هو قتل لمعنويات عرب فلسطين تحقيقا للقول المأثور « اطرح له عظما واضرب راسه بالنبوت !» ... فهل هنالك مهزلة اكبر من ان يشرف على شؤون اللاجئين العرب من كان الداء ورأس البلاء في خلق المشكلة الفلسطينية وما نجم عنها من مشاكل ؟!

ان تحقيق حلم اسرائيل لم يكن في الدرجة الاولى نتيجة لوعد بلفور الذي قطعته الحكومة البريطانية لليهودي التائه ... ولا نتيجة لمعونة قدمتها حكومتا بريطانيا والولايات المتحدة له ، ولكنه كان نتيجة مباشرة للظلم والاضطهاد اللذين لحقا بالشعب اليهودي في اوروبا فاجبراه على ابتكار طريقة للخلاص من ذلك التشرد وكان ذلك بطردنا من فلسطين بالقوة . لقد سبق قيام دولة اسرائيل وحدة في الشعور بين افراد الطائفة اليهودية في العالم وقد دفعهم هذا الشعور الى بذل كل غال ونفيس في سبيل تحقيق حلمهم الذهبي ... فكانت التبرعات من كبيرهم وصغيرهم وكان اغتنام الفرص بالاغراء حينا وبالتهديد حينا آخر ... وكان التدريب العسكري ثم كان التحدي السافر بالقوة ... فكان الجواب يقينا قيام دولة اسرائيل !

واستحوذ على افراد الطائفة اليهودية ـ قبل قيام تلك الدولة ـ وخاصة الزعماء منهم ، نوع من الايمان القوي العميق وقد صمد امام مختلف التيارات ولم يتلاش امام الصدمات والعقبات ... كما واكب ذلك كله اعتراف من القادة اليهود وعلى راسهم الدكتور حاييم وايزمن بان غايات الانسان في الحياة قلما تتحقق طفرة واحدة ، بل ان معظمها يستلزم سلسلة من الاعمال ينبغي ان تتوالى لآجال طويلة وربما لابعد

من مدى الحياة . كما ان الشعوب كالافراد تواجه الشيء الكثير من العوائق ولا بد لها من ان تجابه ضروبا من المشاكل تمتحن عزائمها ، فاذا لم يحمل افرادها في انفسهم ايمانا قويا لاقتحام تلك الموانع فترت هممهم وخارت عزائمهم واصبحوا غير قادرين على حشد طاقاتهم في سبيل الوصول الى اهدافهم .

نستنتج من ذلك كله ان النضال القومي يحتاج الى ايمان راسخ في النفوس ، لا يتهاوى امام المشاكل ولا ينهار امام الصدمات ، كما ان النجاح والفوز في النضال القومي لا يتم في حملة واحدة وانما يتطلب الاستمرار في العمل المنظم البناء ، واستئناف النضال .

امام هذه المقاييس يجب علينا ان نقف لحظة لنوازن بين مبلغ استعدادنا ومستلزمات هذا النضال . اننا نفتقر ولا شك الى زعامة قوية رشيدة خصوصا في هذا الوقت العصيب والى التنظيم المركز والى العمر المثمر . واخطر ما نشكو منه ان الايمان القومي ما زال ضعيفا في نفوسنا نحن عرب فلسطين ، فمعظمنا ما زال يامل في تحقيق اشواقه القومية دون تقديم الثمن بالدم والعرق والدمع مؤملا ان يسترد الغير وطننا ويقدمه لقمة سائغة لنا !

ان هذا النوع من الاستكانة هو في اعتقادي اخطر ما يتهدد مستقبلنا ، فليس أضر على المجتمع وعلى الامة التي تريد ان تبني مجدها من ان يكون بين افرادها قوم يأملون العيش على كسب الآخرين وهم قادرون على العمل ، فحياة الامم ليست هبة تعطى وانما هي عمل ابنائها ونضالهم في سبيل مجد امتهم وعظمتها ، واول مراحل هذا النضال هي ان يؤدي كل انسان واجبه وان يعمل كل فرد منا ما يستطيع عمله . اما الكسل والاعتماد على الغير فامور تتنافى وطبيعة العمران وتحط من شأن الامة كما تعطل آلة النجاح والتقدم فيها . فما أحوجنا اليوم نحن عرب فلسطين الى من يرد علينا ايماننا بانفسنا وثقتنا بماضينا ورجاءنا بمستقبلنا » .

٤ ــ فوزي عبد اللطيف الكيالي

ولد « فوزي » في مدينة « اللد » بفلسطين عام ١٩٠٤ وترعرع في حنان جدته لوالده ، واخذ عنها حب التعالي والتطلع دوما الى الافضل ، وكانت طفولته غنية بالحب العائلي ، ومال بكليته الى دروس الرياضيات ولعبة الشطرنج ، وكان حلمه الاول الالتحاق ب « دار المعلمين » بالقدس وصارح والده بهذه الامنية لكنه وجد نفورا منه .. لسبب واحد هو ان تعلم العلوم الحديثة كالجغرافية والطبيعيات والكيمياء ... امر غير مرغوب فيه عنده .

ولما يئس « فوزي » من اقناع والده وذويه وضع مخططا لتحقيق امنيته ... فعمد الى ادخار بعض الدراهم التي تكفي لسفره واقامته في القدس . وفي عام ١٩٢٠ حقق القدر امنيته بدخوله « دار المعلمين » وكان استاذ العربية فيها الشاعر الكبير معروف الرصافي الذي كان لصوته الاجش وقامته الفارعة ومشيته الرتيبة وزيه العربي اثر بعيد في نفس « فوزي » الذي احب الرصافي وتغنى مع رفاقه بالاناشيد الوطنية التي كان ينظمها خصيصا لطلابه في « دار المعلمين » ويلحنها الدكتور خليل طوطح مدير الدار ، فكان « فوزي » ولداته يشعرون بالزهو والفخار بين طلاب المدارس والكليات الاخرى لانهم من طلاب الشاعر معروف الرصافي !

وصدف ان كان معلم الرياضيات في « دار المعلمين » بالقدس انسانا سليط اللسان ، لا يرحم الطالب المخطىء ... ولا يقبل معذرته ... وكان ينهال على « فوزي » باقذع الالفاظ .. الامر الذي افضى الى تأخره في دروسه الى درجة التدهور ... وهنا صمم « فوزي » على الانتحار ... تخلصا من لسان بذيء .. ومعلم سليط .. لكنه عدل عن تنفيذ ما وطد العزم عليه .. وصمم على تحدي ذلك المعلم ..

فعكف على هضم الدروس المقررة واستيعابها بدون استاذ ... فجهز الدفاتر والكتب والاقلام ، واعد الشموع والكبريت .. واتخذ من غرفة الغسيل في مبنى « دار المعلمين » مكانا لدراسته ... وكان يقصد « صومعته » هذه بعد ان ينام الطلاب ليلا ... وازمها اربعين يوما لا يبارحها ايام الجمع والآحاد . وهنا شعر بانه ولد ولادة جديدة ... واصبح طالبا واثقا من نفسه ومن حصيلته العلمية ، وهنا صمم على مكاشفة الدكتور خليل طوطح بمأساته مع معلم الرياضيات .. وبسحته نفسه فوق سطح الدار ... ولما وقف الدكتور طوطح على جلية الواقع اكبر طموح « فوزي » وتصميمه على تسليح نفسه بالعلم .. ودعا من نوه لجنة من الاساتذة لفحص « فوزي » ، وبعد فراغ اللجنة من مهمتها رفعت تقريرا الى مدير الدار وقد جاء فيه ان « فوزي » استوعب كافة المقررات بدرجة ممتازة ... وانه جدير بالترفيع للصف الثاني . وتقديرا لعصاميته امر الدكتور طوطح باقامة حفلة لتكريم « فوزي » نظير الجهد الذي بذله ، وبانتقاله الى الصف الثاني بمهرجان حافل . وبهذا التصميم يكون « فوزي » قد انهى صفين في سنة واحدة ... وتخلص من « عقدة » عدم لياقته للدراسة ... وحلت محلها فكرة التفوق في دروسه ... وعاش بعدها معولا على ارادة جبارة في انجاز شؤونه الدراسية والحياتية ، واشتهر بين زملائه من الطلاب بوصفه « الرياضي الاول » وهكذا تفتحت ملكاته ، وبرزت مواهبه ، واصبح في فلسطين من الاساتذة المبرزين في دروس الرياضيات .

وبعد حصوله على الشهادة من « دار المعلمين » بالقدس عام ١٩٢٢ عين استاذا في ادارة المعارف العامة وعلم في مدارس المجدل فدير غسانة فالقدس ففزة فحمامة فالرملة فيافا . وعلى اثر النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) قصد الكويت وعين استاذا في احدى مدارسها ثم عاد الى سورية وعين استاذا للرياضيات في ثانوية السويداء (جبل العرب) ثم رجع الى الكويت واستأنف التعليم هناك ، وفي عام ١٩٥١ قصد ليبيا وزاول التعليم في « دار المعلمين » بطرابلس الغرب .

وفي عام ١٩٢٨ تنادى ثلاثة من شباب فلسطين الواعي ، وقد جمع الوفاء والمودة بينهم ... وهم : عبد الحميد ياسين وفوزي الكيالي وبدوي العلمي واسسوا « نادي الاصدقاء الثلاثة » في مدينة اللد ، ولم يقبلوا فيه غير عدد قليل من اصدقائهم كضيوف زائرين ... ومن الموضوعات التي كانوا يعالجونها في ناديهم هذا الطرائف الادبية واللطائف الثقافية والاختراعات العلمية الحديثة التي كانوا يتخيلونها ... ففوزي اخترع في مخيلته « الارصفة المتحركة والمختلفة السرعة » وعبد الحميد « النظارة التي تعكس ما وراء لابسها » وبدوي العلمي « الغواصة الارضية » .

وابان وجود « فوزي » استاذا في المدرسة العامرية بيافا الف اول فرقة للعمل الفدائي من كبار الطلاب ، ودعا الى مشروع القرش كوسيلة لجمع التبرعات لعائلات الشهداء .

ومن « المحطات » البارزة في حياة « فوزي » ثانوية السويداء ، فبعد تعيينه مدرسا فيها لم يجد مجالا لتدريس اية مادة من مواد تخصصه ، فعرض عليه مدير المدرسة تدريس مادة التشريح فوافق على هذا العرض وحمل مراجع هذه المادة الى غرفته ، وسهر ليلة لاستيعاب الدرس المقرر لليوم التالي والدرس الذي قبله والدرس الذي بعده .. لكنه لم يستطع الاستمرار في تدريس مادة التشريح فصمم على الاستقالة خشية ان يبدو عاجزا امام طلابه .. وهنا حصلت « المعجزة » اذ قام الطلاب بمظاهرة ضد معلم الرياضيات لعجزه عن حل تمرين رياضي ، فكلف مدير المدرسة « فوزي » حل ذلك التمرين .. فحله في ثوان قليلة ، فازداد الطلاب هياجا ، واخذوا يصرخون « نريد الكيالي استاذا للرياضيات ... ليعش الكيالي ! » فدعاه مدير المدرسة الى مكتبه وكلفه تدريس الرياضيات في الصفوف العليا !

هي هي ..

الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

رآهـــا بشرفتهـــا تنحنـي ... على أصص الورد تسقي الزهور
تشاطرها نضرة فـي الصبا ... وتمتاز عنهـــا بضوء البدور
تصب النمير فيغـدو رحيقا ... كساحرة فـي قديـم العصور
تزيـل غليـل الثرى رأفـة ... وكـم الهبت لاعجات الصدور
فهب شذاها علــى جارهـا ... فأيقظ فيـه غوافـي السرور
يفـوح العبيـر فـلا ينتهي ... الى الزهر بل لعذارى القصور

وسارقهـا اللحـظ مستانيـا ... فهشت اليـه ومـا غاضبتـه
تبـادل لحظاهمـا منطقـا ... لـو انطلقت لغـة مـا حكته
وقـال ، وقالت لـه قصـة ... فـرد عليهـا ومـا شافهته
وراحا يطيلان نجـوى الهوى ... ويشكو الـى عينها مـا جنته
ولاحقها اذ مشت ذات يـوم ... فسرت كثيـرا وقـد قابلتـه
ورق الحديث فافضى الـى ... مواعيـد ان قربت صاحبتـه

من ابرز سمات « فوزي » ايمانه بالحب والعلم ، وسعيه الـى تطبيق ايمانه هذا علـى سلوكه وتصرفاته ، فهـو يؤمن بالانسان ... الانسان الكامل !

وفي مراحل عمره دعا الى الخير وصنع الجميل . وهو شديـد الاعجاب بقصيدة « التينة الحمقاء » للانسان الشاعر ايليا ابو ماضي التي تعبر عن خلجات نفسه وهي :

وتينــة غضة الافنـان باسقــة ... قالت لاترابهـا والصيف يحتضـر
لاحبسن علــى نفسي عوارفهـا ... فـلا يبين لهـا في غيرها اثـر
كم ذا أكلف نفسي فوق طاقتهـا ... وليس لي بل لغيري الفيء والثمر!
لذي الجناح وذي الاظفار بي وطر ... وليس في العيش لي فيما أرى وطر
انى مفصلة ظلـي علـى جسدي ... فلا يكون بــه طـول ولا قصـر
ولست مثمـرة الا علــى ثقـة ... ان ليس يطرقني طيـر ولا بشر

عاد الربيع الــى الدنيا بموكبه ... فازينت واكتست بالسندس الشجر
وظلت التينــة الحمقاء عاريـة ... كأنها وتد في الارض أو حجـر !
ولم يطق صاحب البستان رؤيتها ... فاجتثها فهوت في النار تستعر
من ليس يسخو بما تسخو الحياة به ... فانــه احمـق بالحرص ينتحـرا

ولفوزي ولع بالموسيقى الشرقية والغربية . ومن هواياته تربيـة الطيور ، والعناية بالزهور ، ومر به عهد ولع فيه بالقراءات الفلسفية ونظم الشعر ، كما عمل مديرا لمكاتب منظمة التحرير الفلسطينية فـي ليبيا عام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ تطوعا بـلا مرتب ، واعان اولاده الثلاثـة المهندسين في ادارة اعمالهم ، لكن جل جهده وانجازه كان في ميدان التربية عامة وتعليم الرياضيات خاصة . وقد جمع « فوزي » بين حب الخير والجمال والحقيقة ، حسبما دعت مثالية الاغريق القدماء ، لكنه اضاف اليها اندفاعا قويا للعمل المتصل ولو كان هواية .

من آثاره القلمية : احب « فوزي » الرياضيات واقبـل علـى تصنيف طائفة من الكتب في هذا القطاع . ومن الكتب المطبوعة التـي وضعها :

١ ـ الحساب المنطقي الحديث (في ٣ اجزاء) طبع عـام ١٩٤٠ (بالاشتراك مع الاستاذ عبد الله الريماوي) .

٢ ـ المرشد الحديث : في اصول تدريس الرياضيات (للاساتذة والكليات) ١٩٥٤ .

٣ ـ حساب الدارسين (في ٤ اجزاء) ١٩٥٧ .

٤ ـ دليل المعلم : في الطرق الخاصة لتدريس الرياضيات (في ٣ اجزاء) ١٩٧٠ .

٥ ـ فكر واحسب : للمدارس العربية (في ٦ اجزاء) ١٩٧٠ .

نموذج من نثره : « تحتل الرياضيات مكانــا بارزا في المنهج المدرسي والمواد المقررة لانها احدى مقومات الحياة العملية والاجتماعية. وقد تعثرت بعض المناهج واساليب التدريس المتبعة حتى الان في ايجاد التوازن بين الرياضيات كعلم متكامل له تسلسل منطقي ومفاهيم كلية وبين الرياضيات كعلم اجتماعي متفاعل مع المجتمع .

وغرض هذا الكتاب ايجاد الوسيلة التي يتحقق بها هذا التوازن وتهيئة الظروف التي تجعل الاطفال يجدون فيها معنى حقيقيا وملموسا للرياضيات . ويتجه التعليم في هذا العصر الـى الصور العمليـة المحسوسة ـ النفعية ـ وينحو نحو اكتساب الطالب الخبرات التـي تنطوي على تطبيقات عملية للحقائق التي يدرسها كما يسعى الى تمكينه من الوصول الى النظريات والقواعد والقوانين العامة بنفسه عن طريق تدريبه على قوة الملاحظة والاستنتاج ، وعن طريق تمكينه مـن تنظيم المعلومات والربط بينها .

ومن اهداف التربية العلمية في عصرنا الحاضر ايضا تنمية ملكات وقدرات الطفل وتدريبه على اكتساب المهارات اللازمة للتفكير السليم والعمل على تنمية عناصر الشخصية والشعور بالذات المكتفية والمتكاملة.

والمعلم الناجح هو الذي يجعل خطته منسجمة مع النتائج البناءة والمستمدة من الابحاث والنظريات التربوية الحديثة ! » .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

وتخلو الــى نفسها كالتـي ... صحت بعد حلم جميل الصور
فتذكر مـا كـان مـن لطفـه ... ورقته فـي تهـادي السمـر
ونشوتهـا بحديـث الغـرام ... ونشوتـه بتـلاقـي النظـر
وموقفه فـي ضفاف الغديـر ... ومجلسه فـي ظـلال الشجر
واشراقة البشـر فـي وجهه ... كـأن عليـه شعـاع القمـر
وخدعته في اجتيـاز الطريق ... فما يسلكان سوى مـا استتر

وزارت صديقتهـا بيتهـا ... فأمسيتـا ليلـة تسمـران
وقالت لهـا ، اذ بـدا فجـأة ... بشرفتـه ومضى فـي ثـوان
أجارك هـذا نبيـل الشاعـر ... أم مثـل شبان هـذا الزمـان
فصاحت بهـا : عادتي انني ... اذا لاح شخص تركت المكـان
وأغلقت بابـي فـي وجهـه ... لكي أتقي جارحـات اللسـان
ولـولا وجودك فـي شرفتـي ... لغادرتهـا اذ بـدا للعيـان

ومـر زمـان ولقياهمـا ... تتـاح علـى فتـرات قصار
فيصغي وتصغي لصوت الهوى ... ويقتطفـان شهـي الثمـار
ولـكن أبوهـا اشترى فرقـة ... بحـي بعيـد ، فشط المـزار
ورانـت بعينيهمـا ظلمـة ... تجهم منهـا ائتـلاق النهـار
وشـدا المواثيـق ان يستد ... يم لقاؤهما الحلـو دون انتظار
فوفى ووفت ، ودام الهـوى ... لحين كعهدهما فـي الجـوار

وجدت أمـور فأبـدى لهـا ... تباطـؤ منصـرف عـازف
وأخلـف موعـده واكتفـى ... بتلفيـق عـذر لـه زائـف
ولـم يغتنم سانحات اللقـاء ... كمـا كـان في الزمن السالف
تجـيء فتنتظـر المستحيـل ... وترجـع بالاسف اللاهـف
تـدب الشكـوك باعماقهـا ... فتنفـر فـي قلبهـا الراجف
لعـل مواهـا استبدت بـه ... فاوغل فـي حبهـا العاصف

ومـرت بمنزلـه ليلـة ... فالفته يرمق بعض الحسان
فخفت اليهـا ولـم تكترث ... صنيع لهيـف يقاسي الهـوان
وقالت وقـد نظرت نحـوه ... اجارك هـذا نبيـل الجنان
فصاحت بهـا : عادتـي انني ... اذا لاح شخص تركت المكـان
واغلقت بابـي فـي وجهـه ... لكـي اتقي جارحات اللسان
ولـولا وجودك فـي شرفتـي ... لغادرتهـا اذ بـدا للعيـان

فصاحت وقـد قطبت وجهها ... ومقلتهـا ترتمـي بالشـرر
تعيدين لـي كـل مـا قلتـه ... ولفقتـه فـي زمـان غبـر
وانـي لاعـرف اسـراره ... وجرأتـه فـي اختلاس النظر
وموقفه فـي ضفاف الغديـر ... ومجلسه في ظـلال الشجر
واشراقة البشر فـي وجهـه ... كـأن عليـه شعـاع القمـر
وخدعته فـي اجتياز الطريق ... فما تسلكان سوى مـا استتر

وعمهمـا موقـف محـرج ... فجالـت بعينيهمـا دمعتـان
وكلتاهما قـد كسـا وجهها ... شحوب تجف بـه الوجنتان
وارسلـت نظـرات لهـا ... بقلبيهما وخـزات السنـان
وهمت لتنطـق أولاهمـا ... ولكـن تلعثم منهـا اللسان
فرقت لهـا أختهـا وانثنت ... تصوغ اعتذارا رقيـق الحنان
وقالت تركـت اليـك الفتـى ... فصاحت رويدك فـات الاوان

الفيوم ــ دار المعلمات ... محمد رجب البيومي



كمال رستم

برامج الاطفال بالاذاعة والتلفزيون

بقلم كمال رستم

* * *

يفرق رجال الاذاعة والتلفزيون بين نوعين من برامج الاطفال ، بين ما يسمى ببرامج خارج المدرسة وبين ما يعرف باسم برامج داخل المدرسة ، وهذان النوعان من البرامج يدوران حول محورين اثنين هما محور الترفيه ومحور التربية او التعليم والاختلاف بين النوعين هو اختلاف في الكم فقط اي في حظ كل نوع من البرامج من هذين العنصرين بحيث تخرج برامج داخل المدرسة وقد غلب عليها عنصر التربية والتعليم ، وتخرج برامج خارج المدرسة وقد غلب عليها عنصر الترفيه .

ولما كنا سنقتصر في مقالنا هذا على النوع الاول من البرامج فسوف نلم بادىء ذي بدء المامة سريعة ببعض القواعد او بالمبادىء التي يلتزمها الاذاعيون في التخطيط لهذا النوع من البرامج ويلزمون بها الكتاب الذين يكتبون لهم ثم نتلمسها بعد ذلك في بعض الاذاعات العالمية .

فمن المبادىء التي يراعونها في هذا النوع من البرامج ما يلي :

ـ اعطاء اكبر قدر من الارسال لبرامج الاطفال لتغطية مفردات البرنامج الترفيهية والتربوية .

ـ تحديد جماعات الاعمار التي توجه اليها فقرات البرنامج .

ـ تهيئة ما يعرف « بجو مسرح الطفل » لا « جو غرفة الدراسة » عند عرض المادة التعليمية .

ـ تجنب العمل الذي يمكن ان يقوم به المعلم بطريقة افضل .

ـ القضاء على سلبية الاستماع او المشاهدة .

ـ تحقيق ديناميكية الميكرفون والكاميرا وعدم جمودهما عند حدود الاستديو .

ولنحاول الآن أن نتلمس هذه المبادىء في بعض الاذاعات التي تمثل الكتلتين الشرقية والغربية ، ان النظرة العجلى الى هذه الاذاعات تطلعنا على ان جميع الدول في هاتين الكتلتين تذيع برامج الاطفال في الفترة ما بين وقت الغروب والساعات الاولى من الليل وتتضمن هذه البرامج انماطا مختلفة من الفقرات التي تتراوح بين التعليم المباشر والترفيه الصرف كما تتضمن كل انواع الموسيقى ابتداء من الاغاني الشعبية وانتهاء بالسيمفونيات كما تتضمن المعلومات ابتداء من الارشادات الصحية الى معضلات الفلسفة والمذاهب السياسية .

وخير مثال على هذه البرامج « مجلة الاطفال العالمية » ، ويخصص الاتحاد السوفيتي سبع ساعات في اليوم على شبكاته المختلفة لبرامج الاطفال وتستهدف هذه البرامج معاونة الاباء لابنائهم الصغار على التعرف على العالم المحيط بهم وتتضمن البرامج نشرات الاخبار الصباحية والدروس الانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية وقصص الفيري والاحاديث والبرامج الموسيقية .

اما رومانيا التي تذيع ٢٣ ساعة في الاسبوع للاطفال والشباب الذين تتراوح اعمارهم بين الخمس سنوات والعشرين سنة فتتضمن برامجها نشرات الاخبار والحفلات الموسيقية التي تحييها فرقة مكونة من ١٨٠ طفلا كما تتضمن البرامج ما يعرف باسم « السفينة الصاروخية » التي تحقق مرونتها الانتقال في المكان والزمان لكي تقدم مجالا واسعا للحقائق والافكار كما تتضمن البرامج المناقشات والفقرات الترفيهية، وبالنسبة للتلفزيون فقد لاحظت اكثر الدول ان الطفل يتقبل بطريقة سلبية البرامج المعدة له والتي تستولي على كل حواسه وتدعوه لان يلقي بكتبه ولعبه جانبا ولتجنيب ذلك تعمل البرامج على تشجيع الاطفال على الاشتراك في بعض الانشطة فيطلب من صغارهم رسم الصور أو تفقد الاخطاء الموجودة في الصور التي تعرض في البرنامج ، اما الاطفال الاكبر سنا فيجيبون على الاسئلة التي توجه اليهم ، وتستهدف البرامج عموما الانتقال بالاطفال من المشاهدة السلبية للعمل الابداعي الذي يقومون به بعد انتهاء البرنامج .

ويقترح بعض الباحثين ان يحدد الآباء كمية

المشاهدة التلفزيونية وان يختاروا لابنائهم البرامج المناسبة لهم ، ويقترح البعض الآخر من الباحثين الا يسمح الآباء لابنائهم بمشاهدة البرامج التي تذاع بعد الساعة الثامنة مساء وهي الساعة التي يجب ان يخلد فيها الاطفال الى النوم .

اما التلفزيون الالماني فتعمل برامجه على حث الاطفال على حل الالغاز وعمل الاشغال اليدوية واجراء التجارب الكيماوية ، كما يدفعهم الى الاشتراك في الانشطة الثقافية والفنية والجماعية . واحدى الطرق التي تؤدي الى تحقيق هذه الاغراض ان يشترك في البرامج الفنانون والشعراء والكتاب الصغار .

بينما تحاول برامج التلفزيون البلجيكي ان تجعل الاطفال يغنون ويرسمون ويرقصون ويعزفون الموسيقى كما تحثهم البرامج على الاشتراك في الصناعات اليدوية .

وفي بعض البلاد الاوربية يشترك الاطفال في البرامج الاذاعية والتلفزيونية كمذيعين وممثلين ومغنين ولاعبين ... الخ .

اما هيئة الاذاعة البريطانية « البي. بي. سي » فيهدف برنامجها الاساسي للاطفال والمعروف باسم « ساعة الاطفال » الى الترفيه عن الاطفال وهدايتهم الى القراءة الرشيدة واستثارة اهتماماتهم المختلفة وتأصيل مبادىء الدين في قلوبهم .

وتوجه البي. بي. سي برامجها الى الاطفال بمجموعات اعمارهم المختلفة على مدار الاسبوع ابتداء من يوم الاثنين وانتهاء بيوم الجمعة من الساعة الواحدة والخمس واربعين دقيقة موعد اذاعة برنامج « استمع مع الام » . اما يوم السبت فتذيع فيه « البي. بي. سي » في نفس الموعد برنامج « استمع يوم السبت » وبرنامج استمع مع الام بدات اولى اذاعاته في سنة ١٩٥٠ ويتضمن البرنامج الموسيقى والاغاني وقصة تقراها مذيعة مدربة على التحدث الى الاطفال .

والبرنامج كما ينم عليه اسمه معد للطفل في سن الحضانة حيث يحتاج في هذه المرحلة من عمره الى ارشاد البالغين له .

وفي بعض فترات المساء تذيع « البي. بي. سي » فقرات تعليمية اضافية للمراهقين . اما برنامج « ساعة الطفل » فيستهدف الترفيه لا التربية والتعليم والسبب في غلبة جانب الترفيه عليه ان جمهور الاطفال في الساعة الخامسة مساء موعد ابتداء البرنامج « يكون ما يزال قريب العهد باليوم المدرسي كما انه تكون في انتظاره فترة مسائية مليئة بالواجبات المنزلية » ، ومع ذلك فالبرنامج تربوي من حيث محاولته استثارة خيال الطفل وتنمية ملكاته الابداعية وذلك بنقله من الاستماع السلبي الى الاشتراك الايجابي في المادة المذاعة .

وهكذا يستهدف البرنامج تشجيع القراءة الجيدة والتعريف بالمشاهير في مجالات العلوم والفنون والآداب بغرض توسيع دائرة اهتمامات الطفل وانفتاحه على التجارب الانسانية في اوجه الحياة المختلفة .

وبرنامج « ساعة الطفل » يذاع في الفترة من ٥-٦ مساء وهو برنامج متنوع يتضمن روايات المغامرات وقصص الفيري والسير والتراجم كما يتضمن مسلسلات معدة عن الروايات الكلاسيكية من امثال « ديفيد كوبرفيلد » « وجزيرة الكنز » « وايفنهو » « وهكليري فيمن » و « ويني الهزاة » و « الريح في الصفصافة » وغيرها ، كما يتضمن البرنامج الاحاديث القصيرة عن الحيوانات والموسيقى والرحلات والهوايات .. الخ والموائد المستديرة التي يوجه فيها الاطفال الاسئلة الى الخبراء في بعض التخصصات وهذا كله بالاضافة للفوازير والمسابقات التي تستهدف تشجيع النشاط الفردي في ميادين المعلومات العامة والرسم والكتابة .

وجدير بالذكر ان الفائزين في هذه المسابقات يمنحون شهادات جدارة لا المكافآت المالية والجوائز .

وبسبب هذا التنوع في البرنامج انه موجه الى الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الرابعة والاربعة عشر عاما . وينقسم برنامج كل يوم الى عدة اجزاء يوجه كل جزء منها الى مجموعة اعمار بعينها بحيث يتحقق على مدى الاسبوع خدمة كل مجموعات الاعمار عدة مرات .

تلفزيون الاطفال في البي. بي. سي

تؤمن « البي. بي. سي » بأن مشاهدة التلفزيون لا تشكل في حد ذاتها خطورة لكن الخطر يكمن في ان تحل المشاهدة الاكثر من اللازم للتلفزيون محل القراءة الجيدة او الانشطة الصحية للافراد والجماعات . ولا خلاف في ان بعض البرامج تضر بالاطفال فعلا او في القليل تؤدي الى المشاهدة السلبية او غير الناقدة ، ولتدارك هذه الاخطاء استخدمت البي. بي. سي الامكانيات الهائلة للوسيلة لتقديم خدمتها المساعدة للاطفال .

وقد اذاعت البي بي سي برامجها التلفزيونية للاطفال لاول مرة سنة ١٩٣٦ وعندما امكن الحصول على مساحة اكبر للاستديو وعلى توفير زمن اكثر للارسال ابتداء من عام ١٩٥٠ زاد الوقت المخصص لبرامج الاطفال من ساعة في الاسبوع الى ساعة في اليوم ومنذ ذلك الوقت والفترة من ٥ - ٦ بعد الظهر المخصصة لبرامج الاطفال لا يمكن الجور عليها حتى ان الاحداث الرياضية الكبيرة تقطع اذا تجاوزت الساعة الخامسة .

والبي بي سي تذيع برامجها لصغار المشاهدين الذين تتراوح اعمارهم بين سني الحضانة واواخر سني المراهقة . والجمهور هنا يقسم الى جماعات اعمار خمس

مختلفة لكل منها برامجها الخاصة ، وهي جماعة الاطفال في سني الحضانة وجماعة الاطفال من ٥ ـ ٧ سنوات ، وجماعة الاطفال من ٨ ـ ١١ سنة ، وجماعة الاطفال من ١٢ ـ ١٥ سنة وجماعة المراهقين الى آخر مراحل المراهقة : خمسة ايام من كل اسبوع من الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ الى الساعة الرابعة تذاع برامج اطفال سني الحضانة وكل يوم من الساعة ٥ الى الساعة ٦ مساء يذاع برنامج الاطفال الرئيسي « ساعة الاطفال » ، وهذا البرنامج موجه لمجموعات الاطفال من ٥ ـ ١٥ سنة ومن وقت لآخر في الساعات المبكرة من الليل تذاع البرامج الموجهة للمراهقين في اواخر سني المراهقة وتصل هذه البرامج في مجموعها الى ١ر١٧٪ من الوقت المخصص لتلفزيون البي بي سي وهي اعلى نسبة زمنية تعطيها البي بي سي لاي نوع من انواع البرامج .

وفي سبتمبر سنة ١٩٥٠ انشئت في البي بي سي ادارة منفصلة لبرامج الاطفال بلغ عدد العاملين فيها ٢٥ شخصا وهذا العدد الكبير من العاملين يعكس التخطيط الواعي والمثالي لبرامج الاطفال . ولا شك ان البي بي سي تضع في اعتبارها الاول سلامة الطفل اثناء الاذاعة وفي اعقابها وهذا لا يمنع ان يكون الترفيه لا التربية هو الهدف المباشر للبرنامج وهنا كما في الراديو الجو السائد على البرنامج هو جو مسرح الطفل اكثر منه جو حجرة الدراسة . وفي جميع البرامج الموجهة للاطفال تعمل البي بي سي على القضاء على كل ميل من جانب الطفل للمشاهدة السلبية وابتعاث الدوافع الى ما هو اكثر من مجرد التحديق الى شاشة التلفزيون ، وتستخدم البي بي سي العديد من الحيل لاستثارة استجابات هذا الجمهور الصغير السن للبرامج اثناء الارسال وبعده وتجري المحاولات النقدية للبرامج لدى الاطفال والتي يرجى ان تستمر معهم حتى مرحلة البلوغ ومن اهم البرامج التلفزيونية للاطفال في سن الحضانة برنامج « شاهد مع الام » ويذاع في الفترة من الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ الى الساعة ٤ بعد الظهر ابتداء من يوم الاثنين حتى يوم الجمعة كل اسبوع وهذه الفترة وقع عليها الاختيار لانها الفترة التي لا تقطع فيها المشاهدة على جماعة الاطفال المقصودة فهي تأتي مباشرة بعد وقت قيلولة هؤلاء الاطفال وقبل عودة الاطفال الاكثر سنا من المدرسة كما انها الفترة التي تسبق وجبة العشاء وهذا البرنامج كبرنامج استمع مع الام يقدم تجربة مشتركة يتقاسمها الآباء والابناء بدلا من اقامة حاجز تلفزيوني بينهم . ومن فقرات البرنامج اربعة استعراضات عرائس مصورة على فيلم هي :

١ ـ اندي باندي ، ٢ ـ ذي فلاوربوت مين ، ٣ ـ راج تبجان بوب تيل ، ٤ ـ ذي وودن توبو .

اما الفقرة الخامسة وهي وان لم تكن استعراض عرائس الا انها مصورة ايضا على فيلم وفي سنة ٥٢ اذاع برنامج شاهد مع الام مسلسلات اخرى عبارة عن عرائس تتحرك بواسطة الخيوط منها «بيل اند بن» «ذي فلاوربوت مين » اما الاذاعة من الساعة الخامسة حتى السادسة مساء فهي خدمة تلفزيونية تامة للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة والخمس عشرة سنة وفي معظم الاحيان ينقسم البرنامج الى ثلاثة اقسام لمجموعات الاعمار من ٥ ـ ٧ مساء ومن ٨ ـ ١١ ومن ١٢ ـ ١٥ .

فللاطفال من ٥ ـ ٧ تذاع برامج العرائس والصور المتحركة ومن اهم هذه البرامج برنامج « البغلة مفن » الذي قدمته على الشاشة الصغيرة لاول مرة سنة ٥١ مقدمة برامج الاطفال آنيت ميلز وظلت تقدم هذا البرنامج بانتظام لحين وفاتها سنة ١٩٥٥ ولم يتوقف البرنامج بعد وفاتها .

ولقد اصبحت شخصية مفن شخصية قومية في بريطانيا كشخصية ميكي ماوس في امريكا . وتؤكد البي بي سي على البرامج التي تدفع الاطفال الى القراءة المستنيرة حيث ان القوم هناك ـ كما في امريكا ـ يتوجسون خيفة من ان يربي التلفزيون جيلا من الاميين ولذلك فان الادب الجيد يعرض عرضا دراميا في مسلسلات مثل قصص الف ليلة وليلة وقصص الاطفال الكلاسيكية مثل النساء الصغيرات والاميرة الجميلة والوحش ، وجزيرة الكنز وبالاضافة الى ذلك تناقش الروايات الاخرى بعد اعدادها تلفزيونيا وتبتر التمثيلية قبل نهايتها لتشجيع الاطفال على قراءة النص في اصله وتذاع ايضا تمثيليات مؤلفة خصيصا للاطفال وروايات المغامرات كما تذاع برامج « اعملها بنفسك » وزيارة الكاميرا للاماكن المختلفة كمناجم الفحم والمصانع وحدائق الحيوانات الخ . وتذاع ايضا بعض البرامج المصورة على افلام ومن اشهرها جريدة الاطفال التي تذاع منذ سنة ١٩٥٠ والتي تعرض الاحداث الجارية والقصص ذات التشويق الانساني والتي ظلت تذاع من البي بي سي حتى سنة ١٩٥٦ حين حلت محلها الجريدة العالمية للاطفال التي سبقت الاشارة اليها والتي تشترك فيها ٩ دول .

ما تتضمنه بعض قوانين التلفزيون من توصيات بالنسبة لبرامج الاطفال : وفي مارس سنة ١٩٦٠ اصدرت البي بي سي قانون العمل التلفزيوني الذي افرد قسما خاصا لبرامج الاطفال ومن التوصيات التي جاءت في هذا القسم الابتعاد عن المواضيع التي تصور عدم الاستقرار العائلي والخيانات الزوجية والافعال الشريرة التي يسهل على الاطفال تقليدها . كما تضمنت التوصيات تجنب الاعمال الوحشية او في القليل عدم تأكيدها باللقطات القريبة وكذا عدم استخدام الاسلحة التي يسهل الحصول عليها كالمدى والسياط والزجاجات .

اما التلفزيون الامريكي فقد جاء به ان تربية الاطفال

طائر الرعد

الى شاعر المقاومة في الارض المحتلة سميح القاسم

●

فقأوا عين الشمس الحمراء
فاختلطت في قاموس الكلمات الالوان
اختلط الاخضر بالاحمر
واختلط الابيض بالاسود
وأنـا مـا زلت
أقف وحيدا بالباب
أبحث عن أغلى الاحباب
يـا ويلـي ..
ضاعت مني الورقة ..
فيها كتبوا العنوان ..
لا أدري ان كان الباب الموصد قدامي ..
.. أم باب غيره .. !

القمر الاسود يبكي ..
ادمعه فوق الهدب تنام ..
لا أبصر شيئا ..
وأدق .. ادق .. على الباب الخشبي الموصد..
وأنادي ــ وباعلى صوتمن اعماق الحزن ..
يـا ساده ...
هـل أنتم ؟

ويجيء الـرد ...
« لسنا نحـن » .

من فوقي طير الرعد ينوح
مـا هـذا ؟؟
هل مـات النسر ...
واذا كـان ...
فلماذا لا يبكي قلبي المجروح ...
هل جف النبض ...
هل عقمت رحم الارض ... ؟

وينادي طير الرعد بصوت باك :
« لا تقلـق ...
فالباب هـو البـاب
وغـدا ..
.. يتركـه الحجاب .
وغـدا ..
سيعود الاحباب »

القاهرة حسين علي محمد

تتضمن اعطاءهم الاحساس بالعالم عموما ولمـا كانت الجريمة والعنف والجنس تشكل جزءاً من العالم الـذي يواجهونه فأن قدرا معينا من العرض المناسب لهذا الجزء من العالم يساعد الطفل علـى التعرف علـى الوسط الاجتماعي المحيط به ولكن القانون من جهة أخرى يؤكـد على النمو الثقافي للطفل ، وعلى الترفيه الصحي وعلـى القيم الاجتماعية والاخلاقية وعلى احترام الاباء والقانـون وتجنب جرائم خطف الاطفـال ، كمـا يؤكد علـى مراعاة اللياقة فيما يلبسه المشتركـون والمشتركات في الرقص والباليه وفي حركات هؤلاء واولئك وعلى تجنب الالفاظ التي تنطوي على التمييز العنصري .

وبعد ، فهذا استعراض سريع لبعض القواعـد او المبادىء العامة لما يعرف ببرامج الاطفـال خارج المدرسة وتطبيقاتها في بعض الاذاعات الاجنبية لعلها ان تلقي بعض الضوء على هذا النوع من البرامج . وفي مقـال قـادم نتحدث عن النوع الثاني من برامج الاطفال المعروف ببرامج الاطفال لداخل المدرسة .

القاهرة كمال رستم

يقطع « الترولي باس » اطول رحلة عرفتها مواصلات القاهرة . تبدأ الرحلة من ضاحية امبابة وتنتهي عند حي العباسية او العكس . يتهادى في مشيته ويتلكأ ، ويقف لاوهى الاسباب . الساعة تتجاوز السابعة صباحا بقليل وليس بداخل الترولي موطيء قدم . الكل ذاهب الى عمله او كليته ، علاوة على رواد المستشفيات الميري . ادى تباطؤ الترولي الى ضيق شديد . البعض ينظر الى ساعته او الى ساعة جاره ، ويقلق للدقائق الباقية . بعض الركاب تطرف به الغضب واخذ يصب اللعنات على السائق ويحمله مسؤولية التاخير .

– بسرعة يا اسطى ، تأخرنا ..

وآخر يزعق :

– ما دام استلم عمله ، لا يهمه احد .. يسوق كما يحلو له .

قرر السائق على الا يعلق كثيرا ، وان يكون هاديء الطباع ، حتى لا يتجشم مغبة الجدال الذي سرعان ما يلتهب ويتحول الى سباب وزعيق ، تمرد السائق على هدوئه . وزعق بعصبية :

– الذي لا يعجبه ، ينزل ويركب « تاكسي » .. نحن نرتبط بمواعيد للقيام والوصول .

راكب غاضب يرد عليه :

– اتحاكمنا ؟ .. أم نركب حسب مزاجك ؟ .

مرة اخرى يندفع السائق في الكلام :

– اركبوا مبكرا ، تتأخرون في بيوتكم فما ذنبي أنا ؟ .

تسري همهمة بين الركاب ردا على منطق السائق . تنتشر الهمهمة في ارجاء « الترولي » . يلتزم قليل من الركاب بالصمت ويؤثرونه على ما عداه من لغو غير مجد .

يقف « الترولي » فجأة . يهبط منه المحصل متوجها الى مطعم صغير . يشتد غضب الركاب . سيدة ملفوفة القوام تنهر جارها :

– حاسب يا جدع ، اعدل نفسك .

السيدة في الاربعين من عمرها .

– حاضر يا ست .

قدم شاب تضغط عن غير قصد قدم كهل . يصرخ الكهل في ضيق :

– الا تأخذ بالك ؟ .

يزعق فيه الشاب :

– الا ترى ما نحن فيه من زحام ؟ .. ماذا افعل ؟ .

– انت غاوي كلام .. اقول خذ بالك ..

– يعني انا ثرثار .. غلطت .. مالك تخرف ؟ .

– انا اخرف .. يا شاب يا طائش ! .



بقلم المهندس حسني سيد لبيب

يصوب الشاب سهام نظراته الى وجه الكهل وكأنه يتوعده :

– انا طائش ؟ .. بالله العظيم اضربك ضربة يد تموت على طول .

– انت مجرم .

– انا مجرم ؟ .. طيب خذ ...

ويهم ان يلكمه ..

لكن يد جاره تمنعه من ضرب الكهل . انها يد رجل رقيق الهندام ، تتدلى نظارة على ارنبة انفه :

– حاسب ، كدت تضربني انا .

واصلح من وضع نظارته في وضعها الطبيعي بعد ان اهتزت



واوشكت ان تقع .

يبتسم رجل ضخم الجثة ، يتجلبب بجلباب ابيض ، ويقول :

– اخز الشيطان يا كابتن . انه كمثل والدك بالضبط .

– انه قليل الادب .

شيخ يفيق من تسبيحاته على ما حوله ، ترتعش يده الممسكة بالمسبحة الكهرمانية ، يهمهم في تأثر :

– استغفر الله العظيم .. استغفر الله العظيم ..

يرد الكهل على الشاب في ضيق :

– اخرس ، يا شاب يا متهور .. انا قليل الادب يا طائش ..

ينظر الشاب الى من حوله وكأنه يلتمس منهم مساعدته في ادانة الكهل . قالت السيدة الملفوفة القوام :

– الصلح خير يا رجال .. الصلح خير ..

يهدأ الكهل قليلا . ينظر الى السيدة نظرات عميقة ، فتبتسم له وتقول في طيبة خاطر :

– تحمل انت ، انه في سن ابنك .

– المسامح كريم يا ست .

يتناقش الرجل الرقيق الهندام مع الرجل الضخم الجثة حول ما حدث ، وكان لكل منهما وجهة نظر ...

– يا معلم الموضوع تافه ولا يستحق كل هذا الكلام .

– كله تسالي ، وتضييع وقت .

– لكن تحدث خناقات كبيرة بسبب هذه الفوارغ .

يصمت المعلم قليلا ، ثم يقول في انبساط واريحية :

– لا تحمل هما ، كل عقدة ولها حلال . الرجل من بلدنا ، والشاب من بلدنا .. يعني من لحمنا ودمنا .

– كلامك حلو يا معلم ..

– محسوبك المعلم حميدو ، صاحب محل جزارة « الايمان » .

– تشرفنا يا معلم حميدو . وانا

مدرس لغة انجليزية .

ــ أهلا وسهلا ...

صمت المعلم قليلا ثم قال :

ــ انا لي ابن في الاعدادية ، لكن غاوي شيطنة وعفرتة .

انتقل حديثهما الى ابــن المعلم حميدو واهماله للدراسة .

انهمكت السيدة الملفوفة القــوام في حديث مع رجلين بجوارها حول ما حدث . لكل مــن الثلاثة وجهة نظر . لم تلتــقِ وجهات نظرهم . السيدة تــرى ان الموضوع بسيط وتافه ، واحد الرجلين يعتب علــى الشاب تهوره على من هو في مثل سن ابيه ، والآخر يلوم الكهل فقد كان من الممكن انهاء احتدام النقاش بكلمة حلوة .

نجح ركــاب « الترولي » فــي تبادل وجهات النظر فيمــا بينهم ، وتضييع الوقت في تحليل ما حدث وكانه امر ذو جلل . تناهت الــى اذن السائق بضع كلمــات متناثرة ، فادلى بدلوه الــى اقرب راكب يقف الى جواره :

ــ يمكن تلافي الخطأ من البداية . يعني لو الشاب اخذ باله واحترس في مشيته وسط الركــاب لانتهــى الامر ، لكن الركــاب لا يراعــون النظام ، ويغوون الفوضى والهرجلة ، ثم ان ...

افاق من حديثه الطويــل علــى صوت صفارة المحصل فادرك انــه تجاوز المحطة . سمع صوت سيدة تصرخ مــن الباب البعيــد باقذع الوان السباب للسائــق والمحصل وهيئة النقل .. يعلق السائق علــى ثورة السيدة بكلمات هادئة :

ــ معذورة .. لازم تشتم وتزعق .. لكن والله العظيم انــا تجاوزت المحطة لاجل خاطركــم ، فانتــم تريدون ان تصلوا الى اعمالكم فــي اقرب وقت ..

اصوات تهمهم :

ــ متشكرين يا اسطى .

اصوات اخرى تعلق :

ــ الاصــول اصــول ، ويجــب الوقوف عند كل محطة .

ما زال الحديث عــن الشــاب والكهل والاحتدام الذي نشب بينهما هو شغل الركاب الشاغل ، وقــد انعطفوا منه الى احاديث بعضها عام وشامل والآخر خاص ذاتي . تعارف البعض اثناء النقاش . ونسي اغلب الركاب قلقهم من التأخير ، وغرقوا في مناقشات حامية او هادئة .

الشاب المفتول العضلات يخــرج علبة الدخان ويقدم لفافة للكهل :

ــ تفضل ..

ــ متشكر يا ابني .

ــ والنبي تأخذ .. انــا كنــت اضحك ، انت زعلت مني ؟.

ــ ابدا .. انت كابني .. ولا يمكن ازعل من ابني .

ــ طيب تفضل سيجارة .

يمد يــده المعروقــة ويتناول واحدة . يشعــل الشاب اللفافتين وينفث الاثنان الدخان في الهواء .

يأخذ المعلم حميدو بطاقــة مــن المدرس . ويتفق معه علــى اعطــاء ابنه دروسا في الانجليزية . انبسط المعلم لتعرفه علــى مدرس واعتبر ذلك غنيمة لا تقدر بمال .

الشاب المفتول العضلات يهــم بالنزول ، يقول للكهل مبتسما :

ــ تفضل معي ..

ــ متشكر .

اخترق بجسمه الكتــل المتراصة المتضاغطة عند باب السلم . نــزل الشاب من الترولي بعد جهد كبير ، بينا الكهل مــا يزال يشد انفاس الدخان ، وما يزال الترولي يتهادى في مشيته ، ومــا تــزال اصوات الركاب تتناثر في اماكن متفرقة :

ــ الشاب متهور ، وليس عنــده ذوق .

ــ كان ممكنا ان يتسامح الكهــل .. الا يعرف ان الزحام هو السبب ؟

وتبودلت تلويحتان بــين الشاب الواقف على افريز الشارع وبــين الكهل المحشور وسط الكتل البشرية داخل « الترولي » العجيب .

القاهرة **حسني سيد لبيب**

دمشق

دمشق انتظــار يــرف سنــاه عليـنــا ، علــى عمرنــا المجهــد
دمشق احتمــال نعيش عليــه فينــاى بــاحلامنــا الشــرد
دمشق .. لقد الجمتنا الدروب وعــز الوصول الــى المــورد

سنــون مضت أيهــا الراحلــون ونحــن علــى بابهــا الموصــد
وقوفــا .. لقــد ملنــا الانتظار وضــاق بنــا السعــي للمقصد

دمشق .. الا تسمعين .! احمليني وضمي شتاتــي خــذي بيــدي
فانــي وايــاك شلــو حزيــن كلانــا يحــن الــى موعــد

ويقتــات مني تــرقب وعــد ينــام علــى جفنــي المسهــد

دمشق **سلافة العامري**

صالون الفن والثقافة

القيت في احتفال صالون الفن والثقافة بجمعية الشبان المسيحية بالقاهرة في عيد ميلاده الحادي عشر ٨ – ١٢ – ١٩٧٠.

أي عهد مـن الوداد الصريح قائم بين أحمـد والمسيح
منذ فجر الزمان ، يشرق بالحب ، ويدعو الى العلى والطموح
يجمع الراشدين في ساحتيه عبقري البيان والتوضيح
دعوة الله للعباد جميعا ومثاب الدعاء والتسبيح
ومنار العقول ، يفضي الى النو ر ، ويهدي للحق بعد جموح
ومقام الطموح في طلب العلم ، وتشييد عاليات الصروح

بعث المرسلون بالآي تترى بين هاد ، ومشفق ، ونصيح
وأرادوا محبة ، فأبينا غير حرب الخصام والتجريح
حملوا آية السلام الينا ونهضنا بآية التسليح
جاء عيسى يشفي المريض..وجئنا بكسير في حربنا وجريح
جاء يهدي العقول احمد .. لكن غلب الجهل كل قول فصيح ..
هؤلاء الشذاذ .. حلوا فلسطين .. فسالت بمائر مسفوح
واحتموا في شريعة الله ظلما واتوا في البلاد كل قبيح
واستباحوا مدينة القدس .. والله ... لما يفعلون .. غير مبيح
ليتهم اغرقوا ببركة فرعو ن .. فقامت لهم مقام الضريح
لاستراح الزمان منهم ، وما كا ن غداة النجاة بالمستريح
اين من موقف الكليم على الطو ر .. مقام المستعمر المفضوح

من وصايا السماء..ان نرسل القو ل .. على وجهه المبين الصريح
واذن الشباب في عهدنا الحا ضر.. قد بات في مهب الريح..
بين سوء التمييز .. او ثورة الهيبيز .. امسى يسير سير الكسيح
وهي دعوى الالحاد..في الزمن الغا بر .. تلتف في جديد المسوح
ونجاة الشباب في الدين والاخلاق .. عودا الى الطريق الصحيح
هكذا ينصح المشيب .. ويدعو لا يبالي بمعرض ، او مشيح
ويفيض البيان والشعر والحكمة .. بالمشرق الجميل الصبوح
وتغنى الالحان من كل معنى فيه بعث الهوى ، ورد الروح
ليعود الربيع ، يعبق بالور د ، جميلا على الربى والسفوح

ها هنا تطلب الثقافة والفن .. ويرجى بلوغ امر رجيح
ها هنا ينشد التسامح والحب .. بسام من الخصال مليح
فوق عال من المنابر حر وعلى مقعد ، وثير ، مريح
تلتقي الصفوة الجليلة في الصا لون ، والشعر في مقام المديح

مصر الجديدة

عامر محمد بحيري
عضو لجنة الشعر
بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون

ابن الاحمر

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

كانت شخصية ابن الاحمر على جانب كبير من الطرافة والغرابة فقد كان ابن الاحمر بدون منازع ملك العرب والمسلمين في الاندلس ومع ذلك فقد رضي بأن يضم مملكته الى مملكة اسبانيا فيصبح هو بالتالي ملكا على مملكته نيابة عن ملك اسبانيا ورضي انيحضر (الكورتس) وهو مجلس اللوردات الاسباني باعتباره نبيلا من نبلاء الملك شأنه في ذلك شان اي نبيل اسباني آخر يحكم رقعة اخرى من مملكة اسبانيا . ورآه العرب انذاك انه خان الامة ورضي بما رضي به حفظا لعرشه فقط ورغبة منه في ابقاء نفسه واسرته في مناصب الرئاسة والحكم .
ولكن لننظر الان بعد سبعة قرون من ايام ابن الاحمر الى شخصيته على ضوء التاريخ والتحليل العلمي فهل نرى فيها ملكا عربيا خائنا للامانة التي وضعت حول عنقه ام نرى رجلا محنكا رضي بالانحناء امام العاصفة حتى لا ينكسر فتنكسر معه الرسالة التي جاء ليؤديها .

اسمه محمد بن يوسف ولا يعرف احد معرفة اكيدة لماذا تلقب بابن الاحمر والثابت انه ليست هنالك علاقة بين هذه التسمية وبين قصر الحمراء الذي كان مقر سكناه الرسمي في غرناطة والشائع ان القصر تسمى بالحمراء نسبة لابن الاحمر ولكن هذا غير صحيح لان قصر الحمراء كان موجودا ومعروفا بهذا الاسم قبل ابن الاحمر والارجح ان القصر تسمى بالحمراء لان حجارته حمراء وان محمدا بن يوسف تسمى بابن الاحمر لانه كان احمر اللون ، او لان والده كان كذلك . ويطلق اسم ابن الاحمر على عدة ملوك وبعبارة ادق على كل ملك من ملوك العائلة النصرية التيحكمتمملكة غرناطة البقية الباقية من مملكة الاندلس العظيمة ويصعب احيانا معرفة المقصود بابن الاحمر من قراءة بعض المراجع ولا نعرف ذلك الا بمراجعة الفترة التاريخية ومعرفة الملك الذي كان يحكم في تلك المدة بالذات .

ولد محمد بن يوسف اول ملوك العائلة النصرية في ارجونة قرب مدينة جيان وذلك عام ١١٩٨م وينتسب الى اشرف البيوتات العربية الاندلسية اذ يرجع نسبه الى سعد بن عبادة سيد الخزرج واحد اكابر الصحابة فهم بذلك من اعرق البطون العربية .

عاش ابن الاحمر في فترة حزينة منتاريخ الاندلس العربية فقد كان يرى المدن العربية تتداعى وتسقط واحدة تلو الاخرى دون ان يستطيع لذلك دفعا . وكانت رقعة المملكة العربية تنكمش شيئا فشيئا يوما بعد يوم والتيار الجارف يندفع قويا لجرف ما بقي من التراث العربي في اسبانيا ولم يكن ثمة اي امل في ايقافه . ولذلك كان العرب في تلك الآونة يرثون المدن التيتسقط رثاءهم لمفقود عزيز لانهم كانوا يعرفون انها لن تعود ابدا اي انها انتقلت الى عالم اخر وان شخصيتها او روحها العربية قد انسلخت عنها وغادرتها الى غير رجعة . وقد احسست انا بذلك عندما زرت المدن العربية الاندلسية مثلغرناطة واشبيلية وقرطبة فشعرت بأن هذه المدن لها شخصيات اخرى غير ما كانت عليه وان تلك المدن قد فارقتها الروح العربية التي كانت لها من قبل .

رأى ابن الاحمر ان العرب في شمال افريقيا امسوا بعد زوال الدولة الموحدية مشغولين بانفسهم وانقساماتهم وتفرق كلمتهم لا يقدرون على مساعدة الاندلس بأي شكل من الاشكال وعرف ابن الاحمر ان عرب الاندلس لا يستطيعون رد السيل الاسباني العرم دون مساعدة قوية من شمال افريقيا فماذا هو صانع والحال كذلك ؟ هل يستسلم حقنا للدماء ام يحارب حتى الفناء والفناء في هذه الحالة امر لا شك فيه ، وكان من امراء الاندلس من اختار الحل الاول وكان منهم من قرر المقاومة الانتحارية الى النهاية . واى ابن الاحمر ان لا فرق بين الامرين في النتيجة النهائية اذ كلا الطريقين ينتهيان باندثار الامة الاندلسية . وحارب ابن الاحمر ضد الاسبان في مواقع عديدة ولكنه راى بثاقب فكره حلا ثالثا لم يفطن اليه احد من قبل وغامر بكل شيء من اجل تحقيقه ذلك هو ضمان بقعة عربية على اقرب نقطة من الشاطىء الافريقي وانتظار الفرصة السانحة عندما يشتد ساعد اخوانه في شمال افريقيا فيتحدون ويأتون كما كانوا يفعلون من قبل زرافات ووحدانا طلبا للجهاد في سبيل الله ونشر كلمة العروبة ورفع راية الاسلام .

ورأى ابن الاحمر ان يحافظ على مملكة غرناطة فيبقيها عربية مهما كان الثمن فادحا املا في استعادته يوما ما وكأني به كان يقول لنفسه : « كما استطاع العرب متحدين ان يدخلوا اسبانيا ويفتحوها وكما جاء المرابطون وبعدهم الموحدون من المغرب وثبتوا اركانها فانهم قادرون ايضا اذا حفظنا لهم مركز جسر هنا ان يدخلوها مرة اخرى ويعيدوا صولةالامة العربية وحضارتها . وما هي الا فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر ولكنها آتية لا ريب فيها عندما تتحد شمال افريقيا تحت ظل حكومة قوية فتية وما علينا الا ان نحفظ لهم قسما عربيا من الاندلس يكون لهم نقطة نزول وبداية انطلاق جديد .

ولم يكن عند ابن الاحمر اي شك في ان دولة

المغرب ستقال من عثارها وتنهض من كبوتها ولهذا فان اهم شيء بالنسبة اليه كان المحافظة على عروبة مملكة غرناطة وهي اقرب نقطة الى الشاطىء الافريقي مهما كان الثمن فادحا .

ودفع ابن الاحمر للملك اسبانيا مقابل عروبة مملكة غرناطة ثمنا فادحا جدا اذ تنازل عن مناطق شاسعة كانت تحت حكمه ورضي ان يدفع جزية سنوية ضخمة كما وافق كما قلنا سابقا على ان يكون نبيلا من نبلاء الملك الاسباني يحكم غرناطة باسمه كباقي الاقطاعيين الاسبان ويمد الملك كغيره من النبلاء الاسبان بما يحتاج اليه من رجال وعتاد . وجاء الامتحان الاكبر لابن الاحمر والمحنة النفسية العظمى عندما طلب منه ملك اسبانيا ان يمده بالرجال والعتاد لفتح اشبيلية وهي اكبر الحاضرات الاندلسية في ذلك الحين ورضي ابن الاحمر ان يفعل ذلك اذ لم يكن له بد من الرضى فارسل جنده ووقف معهم على حصون اشبيلية يساعد الاسبان على احتلالها واخضاع اهلها العرب والقضاء على عروبتهم واسلامهم .

ولا شك انه سمع القصائد الكثيرة التي كانت تنظم انذاك لرفع المعنويات لدى سكان اشبيلية وحضهم على الجهاد اذ كان ابن الاحمر يحب الشعر والادب ويصعب على المرء ان يتصور مدى الاسى الذي كان يعتمل في قلب ابن الاحمر وهو يحارب اولئك الذين كان قلبه معهم ولا شك انه استمع الى هذه الابيات التي قيلت لشعب اشبيلية في تلك الفترة العسيرة من تاريخ اهلها العرب :

يا معشر العرب الذين توارثوا ... شيم الحمية كابرا عن كابر
ان الاله قد اشترى ارواحكم ... بيعوا ويهنئكم وفاء المشتري
انتم بنيتم ركنه فلتدعموا ... ذاك البناء بكل لدن اسمر

وعاد ابن الاحمر من اشبيلية منتصرا ولكن حزينا جريح القلب منكس الرأس فقد انتصر فعلا ولكن على ابناء قومه ودينه وعاد ظافرا ولكن في مساعدة الاسبان على ان يحتلوا مدينة من اعرق المدن الاندلسية عاصمة المعتمد وقصبة الخلافة الموحدية . ودخل غرناطة وهو لا يعرف كيف سيستقبله اهلها وسار في شارعها الرئيسي يمتطي صهوة حصانه متوجها الى قصر الحمراء والناس مصطفون على الجانبين ينظرون اليه في سكون رهيب دون ان ينبس احدهم ببنت شفة واطلت عليه النساء من النوافذ البيضاء وشرفات المنازل واسطحتها والجميع يحدقون به وبجنده وهم حيارى مبهوتون لا يصدقون ان ما فعله ابن الاحمر حقيقة وليس خيالا .

وفجاة صاح واحد من الناس ساخرا « هل غلبتهم يا ابن الاحمر » فهز ابن الاحمر راسه خجلا وتمتم : « لا غالب الا الله — لا غالب الا الله » واصبحت هذه العبارة رمز عائلة بني الاحمر نراها اليوم منقوشة في كل مكان من اثار غرناطة لا سيما في قصر الحمراء .

ولعل ابن الاحمر نفسه وبعضا ممن كانوا ينظرون اليه راجعا الى غرناطة قد تذكروا في تلك الآونة اول مرة دخل فيها ابن الاحمر غرناطة ، كان ذلك في اواخر شهر رمضان من عام ١٢٣٨ ميلادية بعد وفاة ابن هود عند ذلك اعلن اهل غرناطة طاعتهم لابن الاحمر وارسلوا يستدعونه فسار الى غرناطة ودخلها عندمغيب الشمس وكان يرتدي ثيابا خشنة وحلة مرقعة ونزل بجامع القصبة وام الناس لصلاة المغرب ثم خرج من المسجد الى قصر باديس والشموع بين يديه ونزل فيه مع اهله وبذا اصبحت غرناطة حاضرته ومقر حكمه .

ولم يكن ابن الاحمر يستطيع ان يقول لشعبه ان اشبيلية كانت ستسقط حتما مهما فعل ابن الاحمر من اجلها ومهما كان موقفه منها فالمجتمع العربي حتى في ذلك الحين كان ينفعل ويتصرف بوحي العاطفة اكثر من وحي المنطق والعقل . واتفق ابن الاحمر مع الاسبان على عشرين سنة من السلم كان امله فيها ان يقوي دفاعه ويثبت اركان مملكته ويصله العون من عرب شمال افريقيا . وهذا ما حدث بالفعل اذ بعد انقضاء عشرين سنة قويت فيها مملكة غرناطة قوة عظيمة خاض ابن الاحمر بعدها عدة معارك مع الاسبان قصد منها ان يعرف مدى قوته من قوتهم فوجد نفسه ليس ندا لهم فاشترى منهم عشرين سنة اخرى من السلم مقابل تنازله عن مساحات اخرى من مملكة غرناطة .

وعلى اثر هذا التنازل الثاني كتب الشريف الرندي قصيدته المشهورة في رثاء الاندلس قصد منها ان يستصرخ المسلمين في شمال افريقيا ويستغيث بهم لنجدة اخوانهم في ما بقي من الاندلس وهي قصيدة طويلة مشهورة لعل الابيات التالية منها تعبر عن صريخه ونداه :

يا راتعين وراء البحر في دعة ... لهم باوطانهم عز وسلطان
هل جاءكم نبأ عن اهل اندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى واسرى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام ويحكم ... وانتم يا عباد الله اخوان

وكان الشريف الرندي شاعر البلاط عند ابن الاحمر وله فيه قصائد مدح . وانكب ابن الاحمر على تقوية مملكته وكان يبلغ عدد سكانها انذاك حوالي ستة ملايين نسمة وكانوا في الغالب من اهل العلم والصناعة وعلى جانب كبير من الحضارة والثقافة ذلك لان سقوط البلاد الاندلسية الاخرى في يد الاسبان جعل سكانها من عرب ومسلمين ينزحون الى مملكة غرناطة ويتخذونها ملاذا لهم وقد وصف ذلك المؤرخ عبد الله عنان فقال :

« لقد كانت تلك الرقعة العربية الباقية من مملكة الاندلس العظيمة تعج بذوي الصنائع والعلوم والفنون واستطاعت غرناطة في ذلك الحين أن تعيد ولو على نطاق ضيق عظمة الاندلس وتحفظ تراثها الضخم لمدة مائتين وخمسين سنة اخرى » .

رحماك

لم يبق لي قلب يحب ويعشق ... رحماك اني من ودادك أفرق
ذهب الشباب بكل زاهر عهده ... فبكى لهول الشيب مني المفرق
والخافق المـوار جف وتينـه ... مـا عـاد فيـه دم الهوى يتدفق
ذبلت أزاهير الغرام ولـم يعـد ... لـي حسنها أبـداً وعـي المنطق
فـاذا شكوت فهـل أصدق انني ... مـا زلت أهوى الغانيات واعشق
والغانيـات يـردن بـرد شبيبة ... وممـزق بـردي فكيـف اصدق
أكل الزمان عـلى مطارف همتي ... ومضت صروف الدهر في تمزق
فتركت معتـرك النضال مهشما ... والصحب كلهـم هناك تفرقـوا
وخسرت معركة الشباب جميعها ... وهوى على ساح النضال البيرق

ولأنت كالعصفور في رنق الصخر ... مـا بين زاهـرة الرياض يزقزق
فتـــن كمخضل الربيع وقامـة ... هيفاء يخجل مـن شذاها الزنبق
فاليك عنـي فالجمال يروعنـي ... كالبحر ينزلـه الغريـر فيغـرق
كيف العبور ومـا عرفت سباحة ... وعلى خضم الشوق تـاه الزورق

دمشق

خليل خلايلي

ذلك لان الحلم الذي كان يحلمه ابن الاحمر قد تحقق بعد وفاته بسنتين اذ قامت في شمال افريقيا دولة بني مرين الفتية على انقاض دولة الموحدين واستجاب سلطانها ابو يوسف المريني الى نداء وصريخ الاندلس وكتب الى ابن الاحمر « الثاني » يقول : « انا لنـرجو ان نصلكـم بنفوس صلح جهرها وسرها ونقدم عليكم بمـا يبسـط نفوسكم ويسرها ويطلع لها الفرح من المكاره ويذهـب عسرها فلتطب نفوسكم برحمة الله وعونـه ولتفرحوا بفضل الله وصونه ونحن قادمون عليكم في اثر هـذا ان شاء الله ووعدنا بوفاء يعين الله على اعدائه » .

واشتبكت قوات غرناطة وحلفاؤها المرينيون مـن جهة مع قوات اسبانيا كلها مجتمعة من جهة اخرى في معركة حاسمة فاصلة انتصروا فيهـا انتصارا باهرا على الاسبان اعادت الى الاذهان انتصارات الزلاقة والارك وغيرها من ايام العرب المشهورة في الاندلس ، ومنذ ذلـك الحين إصبحت اسبانيا تتهيب الدولة العربية في الانـدلس وتخشى بأسها وسارعت بعض الدول الاسبانية الى عقد المحالفات العسكرية معها وعاد الامن واستتب الاستقرار في الاندلس وامـن الناس على ارواحهـم واولادهـم ومستقبلهم واصبحوا يطمحون الـى مستقبـل افضل وحيـاة من الدعة والسلام .

توفي ابن الاحمر (الاول) في ديسمبر عام ١٢٧٢م على اثر سقطة من جواده فحمل جريحا الى القصر وتوفي بعد ذلك بأسبوعين وقد قارب الثمانين من عمره وكـان يعرف بالشيخ ويلقب بأمير المسلمين ويصف لنا لسـان الدين بن الخطيب محمد بن الاحمر فيقول : « كان هـذا الرجل آية من آيات اللـه في السذاجة والسلامـة والجمهورية جنديا ثغريا شهما ابدا عظيم التجلد رافضـا للدعة والراحة مؤثرا للتقشف متبلغا بالقليل بعيدا عـن التصنع شديد العزم مرهوب الاقدام محتقرا للعظيمـة مصطنعا لاهل بيته حاميا لقرابته وإقرانه وجيرانه مباشرا للحروب بنفسه يلبس الخشن ويؤثر البداوة » .

لا شك انه لولا ابن الاحمر الذي اعتبره الكثيرون في عصره خائنا لامته لما دام الحكم العربي في الاندلس مائتين وخمسين سنة اخرى وصلت فيهـا الحضارة الاندلسية اوجها من الرقي والرفعة . ولـو احسن خلفاؤه التصرف وتعلموا من دهائه واخلاصه لتوسعت مملكة غرناطـة او على الاقل لبقيت عربية الى وقتنا الحاضر .

لندن

فؤاد جبور حداد


محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

رئيف

ويقولون : رجل رئيف بالناس . ويطلقون اسم (رئيف) على الابناء ، كاستاذي في كلية الطب الدكتور رئيف أبي اللمع ، وكصديقي الاديب المغفور له رئيف خوري . وليس في اللغة العربية (رئيف) ، بل فيها.

رؤوف ورؤف ورائف ورئف وراف (بفتح الراء فيها جميعا وتسكين الهمزة في خامسها) . اما فعله فهو :

راف الله به يراف رافة (بتسكين الهمزة) ورأفا (بفتح الهمزة).

او : رئف به يرأف رأفة (بتسكين الهمزة) ورأفا (بفتح الهمزة) .

او : رؤف به يرؤف رآفة .

قال ابن الانباري :

فـآمنوا بنبـي ، لا ابـا لكم ذي خاتم ، صاغه الرحمن، محتوم

(راف) ، رحيم باهل البر يرحمهم مقرب عند ذي الكرسي ، مرحوم

وقال جرير يمدح هشام بن عبد الملك :

تـرى للمسلمين عليك حقـا كفعل الوالد (الرؤف) الرحيم

وقال كعب بن مالك الانصاري :

نطيع نبينـا ، ونطيـع ربـا هو الرحمن كان بنا (رؤوفـا)

وقد وردت كلمة (رؤوف) في القرآن الكريم ثماني مرات .

ربيع الثاني

ويقولون : ولد فلان في ربيع الثاني . والصواب : ولد في شهر ربيع الآخر (بكسر الخاء) . وقد التزمت العرب لفظ (شهر) قبل (ربيع)، تمييزا له عن ربيع الفصل . وتقول : هذا شهر ربيع الآخر، ولا تقول: هذا شهر ربيع الثاني .

رتل من السيارات

ويقولون عن السيارات التي تسير في صف مستقيم : رتل (بفتح الراء وتسكين التاء) من السيارات . والصواب : رتـل (بفتح الراء والتاء) من السيارات .

رُجالات

ويقولون : هذا من رجالات (بفتح الراء) العرب المشهورين . والصواب : من رجالات (بكسر الراء) العرب . وهي جمع الجمع .

وللرجل (وتسكين الجيم لغة ، نقلها الصاغاني) عدة جموع، هي:

رجال ، ورجلة (بفتح الراء وتسكين الجيم) ، واراجل (بفتح الهمزة) ، ورجلة (بكسر الراء وفتح الجيم واللام) ، ومرجل (بفتح الميم والجيم وتسكين الراء) . اما رجلة (بفتح الراء وكسر الجيم) . فهي اسم جمع .

ويصغر (رجل) على (رجيل) قياسا ، وعلى (رويجل) على غير قياس .

مرجوحة

ويخطئون من يقول : مرجوحة ، وهي صحيحة كالارجوحة (بضم الهمزة وتسكين الراء) . والجمع : أراجيح .

عقل رجيح

ويقولون : فلان ذو عقل رجيح . والصواب : ذو عقل راجح ، أي : كبير، وهو مجاز ، وفعله هو : رجح (بفتح الاحرف الثلاثة) ، يرجح (الجيم مثلثة الحركات) ، رجوحا (بضم الراء) ، ورجحانا (بفتح الراء والجيم) ، ورجحانا (بضم الراء وتسكين الجيم) .

ترحم عليه

وقد اختلفوا في القول : ترحم (بفتح الاحرف كلها وتشديد الحاء) عليه ، أي : قولنا : رحمة الله عليه . فالصيدلاني ، والفراء ، والزبيدي في التاج ، والفاسي في شرح الدلائل ، والفيروز أبادي في المحيط ، قالوا : ان (ترحم عليه) غير فصيحة، وزاد الفاسي قوله : ان قولنا : ترحم عليه ، لحن .

أما الجوهري في صحاحه ، وابن منظور في لسانه ، والزمخشري في أساسه ، والشيخ أحمد رضا في متن لغته فيجيزون لنا ان نقول : ترحم عليه . وكلهم يوافقون على أن نقول : رحم (بفتح الاحرف الثلاثة وتشديد الحاء) عليه .

لذا أرى أن استعمال الفعل (رحم عليه) أبلغ ، لفوزه باجماع آراء علماء اللغة ، ولان عدد حروفه يقل حرفا عن احرف الفعل (ترحم) ، وفي الايجاز بلاغة .

تردد على المكتبة

يقولون : تردد على المكتبة . والصواب : تردد اليها . اي : جاءها المرة بعد الاخرى .

رده لمنزله

ويقولون : رده لمنزله . والصواب : رده الى منزله . راجع الآية ٥٨ من سورة النساء ، والآية ٧٠ من سورة النحل .

الـرز

ويخطئون من يستعمل كلمة (رز) بدلا من أرز (بفتح الهمزة وضم الراء وتشديد الزاي) . وكلتـا الكلمتين صحيحة ، وانـا ارى ان نستعمل كلمة رز (بضم الراء وتشديد الزاي) ، لانها اقل حروفا .

ويجوز ان نقول : أرز وأرز وأرز (بضم الهمزة فيها كلهـــا ، وتسكين الراء في الاولى ، وضمها في الثانية والثالثة ، وتشديد الزاي في الثالثة) ، وأرز (بفتح الهمزة وضم الراء) ، وآرز (بضم الراء)، ورنز (بضم الراء وتسكين النون) .

رزقه بالمال

ويقولون : رزقه الله بالمال . والصواب : رزقه الله المال (بفتح اللام). راجع الآية ٤٧ من سورة (يس) .

رسخ قدميه

ويقولون : رسخ (بتشديد السين المفتوحة) قدميـه في النحـو . والصواب : أرسخ قدميه في النحو (مجاز) ، أي : ثبتهما .

أرسل لـه

ويقولون : أرسل له مالا . والصواب : أرسل اليه مالا . راجع الآيـة ٧٣ من سورة المائدة .

أمـا :

١ ـ أرسله برسالة ، فتعني : بعثه ليؤديها .
٢ ـ أرسله على كذا : سلطه .
٣ ـ أرسل الشيء من يده : أطلقه .
٤ ـ أرسل الخيل في الغارة والميدان : أطلق لها الاعنة .
٥ ـ أرسل الله فلانا عن يده (مجاز) : خذله .

فقـد رشده

ويقولون : أصيب بالجنون ففقد رشده . والصواب : أصيب بالجنون ففقد عقله ، أو لبه ، او حجاه ، لان الرشد (بضم الـراء وتسكين الشين) هو : نقيض الغي والضلال ، او : هو الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه ، ولا يستقيم المعنى اذا جعلنا الضلال ملازمـا للجنون .

الرصافي

ويقولون : ان اسم الشاعر العراقي الكبير هـو معروف الرصافي . (بفتح الراء) . والصواب : معروف الرصافي (بضم الراء) ، نسبة الى الرصافة ، أحد شطري بغداد اللذين يفصلهما نهر دجلة ، والكرخ هو شطر بغداد الآخر .

رصـد مـالا

ويقولون : رصدت الحكومة مليون دينار لتعبيد الطرقات . والصواب: أرصدت الحكومة مبلغ كذا ... أي : أعدت لتعبيد الطرقات مليـون دينار . وفي الحديث : اني ارصده (بضم الهمزة) لدين (بفتـح الدال) علي . وقد ذكر الحسن بن علي (رضي الله عنهما) عن أبيه : ما خلف من دنياكم الا ثلاث مئة درهم كان أرصدها لشراء خادم .

ومن معاني الفعل (ارصد) :

١ ـ ارصد الحساب : اظهره واحصاه .
٢ ـ ارصد الرقيب : نصبه في الطريق .
٣ ـ ارصد له خيرا او شرا : كافاه .

اما الفعل رصد (بفتح الصاد) يرصد (بضمها) رصدا (بفتـح الراء وتسكين الصاد) ورصدا (بفتح الراء والصاد) ، فمعناه :

١ ـ رصده : قعد له وعلى طريقه ليوقع به .
٢ ـ رصده : ترقبه .

رضخ لمشيئته

ويقولون : رضخ لمشيئته . والصواب : عنا لمشيئته ، او خضع لها ، لان من معاني رضخ ما يأتي :

١ ـ رضخ له من ماله : أعطاه .
٢ ـ رضخ النوى والحصى وغيرها من اليابس : كسرها .
٣ ـ رضخ به الارض : القاه عليها بعنف .
٤ ـ رضخت التيوس : أخذت في النطاح ، فشدخت رؤوسها .

المرضعة

اذا رأى الناس امرأة في الشارع ، قالوا : (مرضعة) اذا كان لهـا ولد ترضعه في البيت . ويقول معظم أئمة اللغة ان هـذا خطـأ ، والصواب أن نقول : (مرضع) . ولا يجيزون ان نقول عن الام ذات الطفل الرضيع : هذه مرضعة ، الا عندما تكون حلمة ثديها في فـم طفلهـا .

ومن هذا قوله تعالى في هول يوم القيامة ، في الآية ٢ من سورة الحج ، التي ترد فيها كلمة « المرضعة » ويقصد بها من تكون في حالة ارضاع طارىء ، تلقم ولدها ثديها . ولو قال (مرضع) بحذف التاء ، لكان المراد : التي من شأنها ومن غرائزها الارضاع ، لا انهـا تمارسه وقت التكلم فعلا ، او في وقت محدد معين .

ويجيز نحاة آخرون ان نحذف التاء استحسانا من كلمة « مرضع » ان اريد بها التي من شأنها ، وبمقتضى طبيعتها الجسمية ان تكـون صالحة للارضاع ، ولو لم تزاوله فعلا ، وكذا المرأة المنسوبة للارضاع ، كالتي تتخذه حرفة ، او تشتهر به ، ويجيزون أن نقول : « مرضعة » ايضا . ولكن حذف التاء عند أمن اللبس أقوى وابلغ .

الرعـاع

ويقولون : فلان من الرعاع (بضم الراء) . وقد أجمع أئمة اللغة على فتح الراء ، أي : فلان من الرعاع ، وهم : سفلة الناس وغوغاؤهم . وفي الحديث : « اني أخاف عليكم رعاع » (بفتح الراء) الناس .

ولكن أبا منصور الازهري ، صاحب كتاب « التهذيب » ، قـرأ بخط شمر (بفتح الشين وكسر الميم) بـن حمدويه ، المتوفى سنـة ٢٥٥ هـ : « والرعاع ـ كالزجاج ـ مـن الناس ، وهـم الارذال الضعفاء ، وهم الذين اذا فزعوا طاروا » .

وانا انصح باستعمال (الرعاع) بفتح الراء وضمها ، لان شمر بن حمدويه من أشهر ادباء هراة (بخراسان) وعلماء اللغة فيهـا ، ولان العامة في البلاد العربية الكثيرة ، التي زرتها ، تضم الراء ، ولاننـا نزيل بذلك قشة أخرى من العبء الثقيل ، الذي تركه لنـا أسلافنا ، الذين سلخ جل علمائهم أعمارهم بين الكلمات والحروف والحركات .

اما مفرد (رعاع) فهو : (رعاعة) .

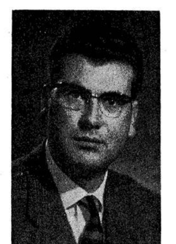
ارعبني

ويقولون : زار الاسد فارعبني . وقد حذر (ابن الاعرابي) في نوادره، و (ثعلب) في الفصيح ، و (الجوهري) في الصحاح ، و (الزبيدي) في تاج العروس ، و (ابن منظور) في لسان العرب ، هؤلاء جميعـا حذروا من استعمال الفعل (أرعب) . وقالوا : ان الصواب هـو : رعبه (بفتح الاحرف الثلاثة) يرعبه (بفتح العين) رعبا (بضم الـراء وتسكين العين) ، ورعبا (بضم الراء والعين) ، فهو : مرعوب ورعيب.

ولكن جاء في حاشية المحيط للفيروز ابادي أن بعضهم جوز الفعل (أرعب) . وجاء في معجم متن اللغة ، للشيخ احمد رضا عضو المجمع العلمي العربي بدمشق : لا تقل أرعبه ، او هي لغة قليلة .

وانا اضم صوتي الى من يجيزون استعمال الفعلين (رعب وأرعب)، لان العامة لا تستعمل الا الفعل (أرعب) ، واسم الفاعل (مرعب) .

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني



عيسى فتوح

انا وبسطات الكتب في دمشق

بقلم عيسى فتوح

***

لم يستأثر بي ولع مثلما استأثر بي اصطياد الكتب النادرة القديمة ، من البسطات بثمن زهيد في اغلب الاحيان ، على قلة ما يعرض في دمشق من بسطات هذه الكتب ، وهي لا تعد شيئاً اذا ما قيست ببسطات بيروت التي تتمركز تحت بناية العازارية ، وبسطات القاهرة التي تعرض عند اسوار حديقة الازبكية . فقد ازداد اليوم باعة الكتب ازدياداً مريعا بعد ان شاعت طريقة عرضها على عربات متنقلة ، تستقر حينا هنا وحينا هناك ، في شارع التاسع والعشرين من ايار الذي يمتد من «السبع بحرات» الى محطة الحجاز ، وفي فوهات الشوارع المتفرعة منه ، وكذلك في بوابة الصالحية ، حيث الارصفة واسعة وواجهات المحال عريضة مغلقة ، بعضها يوم الجمعة ، وبعضها الآخر يوم الاحد ... واكثر الكتب تعرض في هذين اليومين ، وتزداد كمياتها ونوعياتها ايام الاعياد .

لم يعد في البسطات المتأخرة ما يغري من الكتب القديمة الثمينة المجلدة بعدما راحت مطابع بيروت تخرج كل يوم عشرات الكتب المطبوعة طبعا تجاريا ، والمحققة تحقيقا تافها مرتجلا محشوا بمئات الاخطاء ، بعضها يحمل اسماء مترجميها ، ان كانت من المترجمات ، وبعضها الآخر لا يحمل اي اسم على الاطلاق ، وانما يستعاض عنه بعبارة « لجنة من الاساتذة الجامعيين » او «فئة من المترجمين » الخ وبالرغم من تشوهاتها فاننا نرى طلابنا وشبابنا يقبلون على شرائها اقبالا كبيرا ، نظرا لرخص ثمنها ، بالنسبة للطبعات العلمية الجيدة المفقودة ، ولا يهمه منها اكثر من ان سعرها يناسب جيبه الضامر الخاوي غالبا .

لي صديق كان ولم يزل يشاركني هذه الهواية ، ففي يومي الجمعة والاحد من كل اسبوع يمر بي او امر به لننطلق معا نرتاد بسطات الكتب ، نمر بما يعرض على العربات عابرين ، لكي نطيل المكوث عند بسطتي المرحوم عبده الروماني وابي حسن .

منذ ان قدمت الى دمشق عام ١٩٥٤ جذبتني بسطة عبده الروماني الصيفية ، في شارع الصالحية مقابل البرلمان فما ان تنكسر حدة الشمس بعد الظهيرة ، وتنتشر الظلال على مدخل الجادة المتفرعة من شارع الصالحية نحو اليمين حتى ترى صاحبنا وقد استل مفاتيحه من جيبه ، ليفرج عن كتبه الموضوعة في صندوق خشبي مرقع ، فوق الواح من الكرتون كانت من قبل علبا ، وراح يفرشها فرادى او جماعات ، فيضع الكتب الجيدة في متناول يده والعادية في الطرف المقابل ولا اذكر انني مررت به الا رأيت هواة الكتب يحيطون به من كل جانب احاطة السوار بالمعصم ، بين واقف يساومه على كتاب بصوت عال ، لان سمع عبده قد ثقل بعد ان اشرف على الستين ، وبين مقرفص يقلب صفحات معجم متناثر ، او يستعرض كتابا مفكك الاضلاع ، او يتصفح اوراق مجلد قديم وتنتفت من كثرة ما تداولتها الايدي ، او تخطت من احداث اقلها الحريق والغرق .

لقد كان عبده ، رحمه الله ، سريع الغضب ، فاذا ما سأله احدهم سؤالا بائخا ، او جادله في السعر الى حد المماحكة المملة المضنية رفض ان يبيعه ، وعلى مر السنين ، وتعدد اللقاءات ، وكثرة ما اشتريت منه صرت اعرف طباعه ، واحيط علما باخلاقه ، فاذا ما دللت احدا من الاصدقاء عليه ، افهمته كيف يجب ان يتصرف معه بلباقة فائقة كي يتمكن من الشراء ، والا ثارت عصبيته عليه ، وعاد من بسطته بخفي حنين .

كانت بسطة عبده الروماني كثيرا ما تستهوي المارة ، لما فيها من كتب جيدة يفوح منها عبق التاريخ ، وتسطع رائحة القدم ، منها ما يرتد الى اكثر من مئة سنة تقريبا ، ومنها ما افلت من اشد النكبات ، وعاين افظع الاهوال ، التي مرت بالامة العربية . كنت اسأله ويسأله غيري عن كتب نادرة مفقودة فيجيب : مر علي بعد بضعة ايام ، او يوم كذا فتجد ضالتك عندي ، فقد كان لصاحبنا عملاء يتسوقون له الكتب ، او يذهب هو بنفسه لشرائها كما هي في خزائنها ورفوفها ، وبما فيها من غث وسمين ، وفعلا كان يحقق لكل طالب حاجة حاجته ، فيفرح لان

عقد

فتنتني ، وأسرفت بعد هجرا ذات دل ، بالحسن تكسى وتعرى
وانا شاعر ، من الحسن شعري من رأى شاعرا .. يقاوم سحرا
فتوسلت ، والجفا قد تمادى ثم أمعنت في الوسيلة فكرا
فنظمت ، من كل حبات قلبي عقد جيد ، سلكتها فيه درا
ثم ألقيته لقيطة درب وهي بالدر .. أكثر الغيد خبرا
جاوزته مدى ، وعادت اليه بين بين ، والنفس تأبى وتغرى
رفعته .. وبعد أن قلبته في يد النقد ، زينت فيه نحرا
عقدته .. فعانق القلب جيدا ثم أهوى ولهان .. يلثم صدرا
والبها ، انما البيان لسحر وأرق البيان .. ما كان شعرا

دمشق

وحيد العطار

مجموعته الناقصة قد اكتملت ولان ضالته المنشودة صارت بين يديه ، ففي الصفحات الاولى من هذا الكتاب اهداء بخط المؤلف وتوقيعه ، وفي ذاك هوامش كثيرة تمتلىء بالتعليقات والاضافات والحواشي .

كم من صديق تعرفت عليه حول بسطة عبده فصرنا دائما نلتقي ونتذاكر في اخبار الكتب ، المفقود منها والموجود ، الباهظ منها والرخيص ، ونتبادل الفائض ، ويرشد بعضنا بعضا الى مظانها ، وكثيرا ما تزاورنا ليرى الواحد منا مكتبة صديقه ... وهكذا نمضي الساعات ، نقص حكاية كل كتاب ، وكيف عثرنا عليه بعد جهد وتفتيش وطول تسآل وتسيار .

بعد توثق الصلة بعبده ، وازدياد الالفة ، عرفنا ان له دكانا صغيرة على بعد مئتي متر من مكان بسطته – تحول الآن الى محل لبيع لوازم الخياطين – فرحنا نختلف اليه ايام الشتاء والبرد ، ننفق الساعات الحلوة ، ننقب في اكداس الكتب واكوامها عن كتاب شارد او مجلة تائهة ، ذلك ان ضيق المحل اضطر عبده الى ان يقسمه الى قسمين اثنين علوي وسفلي ، يجتاز ما بينهما بسلم متحرك ، فتراه وهو في الستين او تزيد صاعدا نازلا ليلبي رغبات الزبائن بلا كلل ، لان بيع الكتب القديمة المستعملة كان مورده الوحيد .

كلما مررت اليوم بذلك المنعطف تذكرت عبده وبسطته ورفاق « سوسة الكتب » الذين انفضوا عنه بعد وفاته التي اجهل انا ويجهلون هم سببها وتاريخها ... كل ما نعلم ان دكان عبده قد تحولت الى محل صغير لبيع لوازم الخياطين وأن الصندوق الخشبي المرقع زال من محله نهائيا ، ولم تعد تعرض في تلك الزاوية المليئة بالذكريات اية كتب .

وامس بينما كنت اجتاز ذلك المكان لفتت نظري كتب ثبتت على واجهة محل مغلق ، لا يبعد عن موقع بسطة عبده الا بضعة امتار . دنوت من الكتب ، ورحت احدق في اسمائها مليا ، انها والله بعض كتب عبده صديقنا القديم ... كان في حراستها شاب صغير لم يتجاوز العشرين من عمره ، ملامحه هي ملامح عبده نفسها ، عيناه الواسعتان ، وجنتاه الورديتان تحدب الظهر الخفيف ، لا شك انه ابن عبده ، ولما سألته عمن يكون قال لي : اسمي رضا ، وابي عبده ذلك الشيخ الذي كان يبسط هنا ، لقد مات منذ آخر عهدك به .

وهل إمتهنت بيع الكتب بعده ؟ فأجاب : لا ، انا طالب في السنة الرابعة من كلية الاقتصاد في جامعة حلب ، اضطرتني الظروف المادية القاسية ان ابيع كتب والدي التي كان قد احتفظ بها لنفسه ، وهي صفوة عشرات المكتبات التي اشتراها في حياته ، وابى الا يبيعها رغم حاجته الماسة للدواء في ايامه الاخيرة . كنا نشتري له ابرة واحدة كل يومين بمئة ليرة ، مات ابي حزنا على ابنته (اختي) الشابة التي ذهبت ضحية جهل الطبيب ، انه كلما ساومني زبون على كتاب ، شعرت بانني أبيع روح والدي ، لذلك تراني اطلب فيه ضعف ثمنه الحقيقي ، لعله يعدل عن شرائه ، رغم حاجتي الملحة للمال في سنتي الجامعية الاخيرة . لقد بعنا كل ما تركه لنا والدي قبيل وفاته ، ثمنا للطعام والدواء ، وبعيدها ، وهاأنذا اليوم ابيع آخر مخلفاته العزيزة عليه ، فلقد كان ابي اديبا يهوى الكتب والمطالعة والدرس ، ولكن العوز دفعه لبيع الكتب .

دمشق

عيسى فتوح

هـــديـــة

وردة عاطرة في يوم عيد
بلبلا يصدح في الفجر السعيد
أهدنيهـا
لا تقل .. تلك هدايا ..؟
انها شيء صغير
انما ينعش حبي
ذلك الشيء الصغير

يا حبيبي .. رقد العام القديم
في ثنايا الغيب .. في موج ضباب
هات حدثني هل كان كريم
خيّرا روئ امانيك العذاب ..؟
لا تقل .. قاسيت من ظلم البشر
لا تقلهـا
قلبك الطافح بالعزم تخطى
كل صعب وانتصر

•

وتعال .. يا حبيبي
نرقب العام الجديد
باسما حلوا تغذيه الاماني
قد مزجناها معا
من فوآدينا وعزمينا اماني
غوالـي
لا تبالي الغد يا اروع حلم
سنلاقيه معا عزما لعزم
نحن قلبان كبيران اتحدنا
بوركت من وحدة تجمع قلبينا
على اسمى نضال

•

بسمة في فجر عيد
وردة ذات عبير
بلبلا يصدح جذلان سعيد
اهدنيهـا
لا تقل .. تلك هدايا
انهـا شيء صغير
انما ينعش حبي
ذلك الشيء الصغير

اسمى طوبـي

الرابية ـ لبنـان

كانت نرجس جارة للاستاذ فرغل وكانت طفلة كبيرة على كثير من الملاحة وكان كثير التدليل لها كما كان يتحفها بين الحين والحين بهدية تبهجها وتدخل الفرح على قلبها .

وهكذا بدأ تعلق نرجس بالاستاذ فرغل وكثر ترددها عليه وغشيانها لمنزله حبا في التدليل وطمعا في الهدايا ، حتى اذا ما بلغت مبلغ الكواعب الحسان واخذت تميز بين الخير والشر ، ووصلت الى المرحلة الخطرة من عمر الفتيات كان الاستاذ فرغل قد تسلل الى قلب الطفلة الكبيرة التي صارت فتاة صغيرة وراقها ان تنتشي وهي لا تدرك عواقب هذه النشوة او انها قد تكون فاتحة لشر ستطير ، هذه النشوة التي كانت تروقها بحجة دخل بها عليها هي انهما يتسليان دون ان يتسبب لها في اذى فلما وصلت الى الادراك والفهم كان من الصعب عليها الرجوع عما اعتادته ، واستمرا كل منهما ما صارا اليه ، لا ترقى في عرف ايهما فكرة وجوب الكف عنه طالما لم يحدث ايذاء ، والهدايا تبرر ما اخذا عليه عملا بالقول ان لكل ذمة ثمن وان لكل سلعة تقييم .

ورزق الله نرجسا زوجا ارتحل بها الى مكان آخر ، فامتنع لقاؤهما وان كان كل يحن الى الآخر ويستوحشه . والتقى بها يوما ، والحديث ذو شجون ، وعرف كل من الآخر كل ما يريد وبثها اشواقه وما يحس به نحوها وما يجيش في صدره تجاهها ، ولم تضق او تفكر ما قال ، ان لم يكن راقها ان تكون اثيرة لديه عزيزة عليه ، وعرج بها الى حيث اشترى لها هدية عربونا وتقديرا واستفتاحا لما سيستأنفان.

وتكرر لقاؤهما الذي كان يبدو لها مصادفة وكان يرتب له بعد ان عرف عنها كل ما اراد ، وفي كل مرة لا ينسى ان يتحفها بهدية والهدايا تزيح العقبات وتذيبها وتزيد القلوب قربا والعواطف توهجا .

ذابت الفواصل بين الاثنين لسبق ما كان بينهما قبل زواجها وصارت هي اكثر شوقا وميلا الى ان تلتقي معه بعد حياة سبق لها ان جازت بعضها معه والبعض الاخر مع زوجها ، ولماذا تضن بما يشتاق اليه كل منهما ، فما ان طلب منها ان تدبر امرها الى لقاء طويل حتى استجابت له ووعدته بعمل الترتيب اللازم لتحقيق الرغبة المتبادلة .

كتب لها عنوانه على مظروف يحوي ورقة بيضاء ، مع رقم تليفونه في ورقة اخرى لتحدثه متى اتمت ترتيبها ، فاذا وصله هذا المظروف فسوف يفهم ان الامر سار وفق ما يشتهي اذا تعذر عليها



بقلم الدكتور فهيم غالي

الاتصال به تليفونيا .

طال انتظار الاستاذ فرغل للمحادثة التليفونية ، كما طال ارتقابه للمظروف ذي الورقة البيضاء ، ولما يئس اخذ يتسكع في الطريق التي ترتادها عسى ان يلقاها لكنه لم يظفر بطائل ، لكن ساقته قدماه عفوا الى شارع مهجور واذا بها امامه وجها لوجه حاملة طفلة صغيرة ، وكان اللقاء حارا مشوقا انبأته فيه انها وجدت مسكنا قريبا من مسكنه ومن مسكن والدتها وانه سوف لن يقدم وسيلة



او حجة ليلتقي بها عند والدتها في يوم معين من كل اسبوع وان عليها تدبير الزمان وعليه تدبير المكان .

طار الاستاذ فرغل فرحا اذ انها تدعوه الى تحقيق الوعود ، ولم يتركها الا بعد ان قام معها بجولة اهدى فيها لها وللطفلة مما يزيد الموانع ذوبانا والعواطف انصهارا .

كانت خطته انه اودع عند صديق له حميم ، حقيبة بها بعض لوازم السفر ولم تعدم نرجس حجة تتذرع بها لتخرج بالطفلة في نزهة ، لتلتقي بالاستاذ فرغل حسب اتفاق سابق ولم يلبثا ان قصدا فندقا في مواعيد القطارات ومعهما حقيبة السفر المزعومة حيث نزلا ريثما يقضيان عملا جاءا من اجله من الريف .

رجل وسيدة وطفلة وحقيبة سفر ادوات تامة لمسافرين غرباء وفدوا الى القاهرة من الريف في عمل ، فاية ريبة تراود اصحاب الفندق وادلة البراءة بينة ظاهرة ناطقة .

تناول النزيلان طعام الغداء في غرفتهما بالفندق ، وعلى مسمع من العامل المكلف بغرفتهما تناول حديثهما ضيق لما قدما من اجله ، ولم يلبثا ان ارتحلا بعد استراحة طويلة ظاهرة الى السوق يتسوقان ، وواقعا الى منزليهما وبذلك حققت اسطورة الطبقة العالية اسطورة وجوب وجود زوج صفي خفي للكماليات بجوار الزوج الرسمي المرئي للزوميات .

كان الاستاذ فرغل رجلا مستقيما غيرت زوجه اخلاقه وطباعه بما جعلت عليه من تزمت وضيق من مرحه ومن مداعباته واستلاحه لصورتها وقوامها اذا انفردا وتقول له ان هذه تصرفات المراهقين الطائشين واهل المجون والاستهتار والعبث الصبياني . وفي الحقيقة كانت روح المرح لديه تبعث هذا الظن فيمن لا يعرفه والذين يعرفونه يشهدون له ويقرون رغم مرحه بانه

لا تغيبي

لا تغيبي عن ناظري لا تغيبي — يا زواهي صبيحتي ومغيبي
لا يطيب الزمان ان لم تكوني — في مقاصير دوره والدروب
أنت في هجرتي ندى غاديات — وعلى بيدها انسكاب الطيوب
بهجة العمر تبتدي بكحيل — فيك مغر وتنتهي بخضيب
يا لحلوين كلما صادفاني — عللاني بيوم وصل قريب

سان باولو — البرازيل — نقولا معلوف

رجل مستقيم فوق مستوى الشبهات وما ذنبه اذا كان ذا طبع مرح ، فلما تكرر نهرها له وضيقها به لجأ الى الخارج لينفس عن طاقة حست وطبيعة كبتت لم يكن فيها اولا ما يغضب الله لكنها رغم انها زوجته وانها لباس له اساءت فهمه فأضاعته وضيعته .

وازداد الاستاذ فرغل ميلا الى ممارسة مرحه بالطريقة التي ترضى روحه المرحة في غير اغضاب لله لكنه كان مع الزمن ومع تبرم زوجته بمرحه البريء وبدعاباته كانت سببا في ان ينحرف ويتجه الى نرجس لتفريغ طاقته معها في براءة وكانت مثله ذات روح مرحة ونفس رضية وحب للدعابة كبير .

اتفقت طبيعتاهما من حيث الميل الى المرح وحب الدعابة والنفس الرضية ووجد كل عند الاخر ما يتلاءم مع طباعه وبهذا زاد اقتراب كل من الاخر ، هي تسعى للقائه وهو يسعد ويهش لهذا اللقاء ، وهكذا اخذ الامر يتطور بينهما الى ان انتهى الى ما صار اليه ولو كانت زوجته اشبعت له طبيعته المرحة لما كان قد انتهى الامر هكذا الى قنبلة داوية محطمة مدمرة .

وطفلة نرجس تكبر وتأنس للاستاذ فرغل ، ولماذا لا تأنس اليه وهي ترى لقاءاته الودية مع امها وتراه يتحفها بما يرضيها ويبهجها كطفلة . ولم تكن تجسر ان تحكي لوالدها شيئا خوفا من بطش امها وخشية من انقطاع الهدايا كل ما كانت تعرفه هو انه خالها اخو امها وان بينه وبين ابيها عدم استلطاف وسوء تفاهم وان ايهما لا يستريح للاخر لقاء او حديثا او سماع خبر عنه وان الخال من فرط حبه لاخته ولابنتها لا يستطيع المكث طويلا دون ان يراهما وانه من فرط حبه لهما يرى ان من واجبه ان يتحفهما بالهدايا ، ولكن والطفلة كبرت وبدأ تنبهها يزداد ، وفهمها يزداد ، وادراكها يزداد صار الامر ذا خطورة تستدعي اعادة النظر في موقفهما اذ انه لا بد سيأتي يوم او ساعة تنكشف فيه الامور ويتحطم فيها كل شيء .

كانت نرجس غارقة في طيشها حتى اذنيها كما كان هو غائبا عن محجة العقل والصواب وساعدهما على الذهول عن رقة موقفهما ان كلا منهما كان محتشما جادا كتوما ايام من لا يعرفه ومن لا يفهمه لكن لا بد للواقعة ان تقع ولا بد للطمة ان تحدث .

كان الزوج يعرف ان ليس لنرجس اخوات ذكور وان ليس لها الا اخت واحدة طافت سحابة من الشك يوما ما حول سمعتها وقد يكون صحيحا ما شاع ، وقد يكون مينا وافتراء من حاقد موتور ارادها ولم تستجب له اذ كانت ذات جمال طاغ بديع وقوام فاتن مثير .

كانت نرجس تسير مع زوجها وابنتها في شارع مليء بالحركة قريب من منزلهم وكان في السائرين من يعرفونهم كلهم وكانت الاقدار القاسية او قل الاقدار التي تثار للغافلين الآمنين من المنحرفين المفرطين وكان الاستاذ فرغل يسير مع زوجته التي كانت تعلم وتعرف ان ليس لزوجها اخوات اناث كما كانت تعرف نرجسا منذ كانت طفلة مرحة تتردد على منزل زوجها حبا في الدعابة والمرح .

نعم . لا بد لليل ان ينجلي ولا بد للستر ان ينكشف وللفضيحة ان تقع .

التقى الجمعان وجها لوجه وعلى مرأى ومسمع من الناس ، اندفعت الطفلة تلقائيا وبشعور قوي جارف نحو الاستاذ فرغل تتعلق به وهي تقول « ازيك يا خالي » وتشبعه تقبيلا وتعلقا به وحضنا له وواحشنا خالص يا خالي .

وتصبب الوجهان عرقا لان الزوج يعلم ان زوجته كانت جارة للاستاذ فرغل كما كانت كثيرة التردد على منزله ، كما كانت زوجة الاستاذ فرغل تعرف هذا وان نرجسا كانت تتردد لما تلقاه منه من روح مرحة ومن دعابة كثيرة .

والان وقد انفجرت القنبلة في دوي ، كان الباقي في منزل كل منهما .

القاهرة — فهيم غالي



مسافر في التاريخ

مجموعة شعرية ـ محمد احمد العزب ـ ٢٣٤ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد السورية ـ مطبعة وزارة الثقافة بدمشق

احتضنت حلبة الشعر العربي ـ هذا العام ـ مجموعة جديدة من الشعر حين نشرت وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بسوريا مجموعة شعر عنوانها « مسافر في التاريخ » وطبعت بمطبعة وزارة الثقافة بدمشق في ٢٣٤ صفحة طباعة انيقة جيدة .

وقبل ان نشارك المجموعة رحلة سفرها التاريخية يحسن بنا ان نلتقي بصاحبها في رحلة سفره في الحياة ، ففي تصوري ان التعرف على الاعمال الفنية يفتقر الى التعرف على شيئين اساسيين ، اولهما : الاطار الزمني ، وثانيهما : الاطار الشخصي ، فمن واقع معايشة العمل الفني لمجتمعه وامتصاصه لتحرك موجاته الحضارية ياتي تحديد الاطار الزمني ، ومن خلال امتياح العمل الفني من نفسية صاحبه ياتي تحديد الاطار الشخصي .

ويتلخص الاطار الاول في تلك الصحوة المنفعلة ، او ذلك الانفعال الصارخ الذي اصاب الجيل المعاصر ، لا سيما الشباب منه ، وقد تمثل ذلك الانفعال الصارخ في حركة تشبه من هب من سباته اثر لسعة قوية ، وذلك منذ ارغمت اسماعنا على تلقي نبأ الواقع الاليم في مجال صراعنا مع العدو الصهيوني ، وقد كان لهذا الانفعال الصارخ اكثر من ميزة ، حيث حركت الكثير من المسبوتين والمنصرفين والانانيين ، غير ان ذلك لم يكن معناه ان الجميع قد فتح اجفان عينيه وبدأ الحركة والتجاوب .

ويتلخص الاطار الثاني في اننا امام فلاح مصري اصيل لا يرتدي الزي الذي نعرفه به منذ خلق ريف مصر ، ولكنه يرتدي لباس « الافندية » ، وكان ذلك في حقيقته ممثلا لما يحس به هذا الانسان المتوقد الشعور ، فهو يحس بصوت من اعماقه يصيح فيه :

قراتك مرة اخرى ..
وثالثة ..
ورابعة ..
وكنت اود لو كذبت ظنوني في عباراتك ..
ولكني وجدتك انت ..
في كل انفعالاتك ..
وجدتك خلف كلماتك ! .

واذا اغرى صديقته بشذى مصر والحانها والوانها فان ذلك ينحسر مرة اخرى عن اعترافه انه :

اذا انكرت قريتنا .. انا اوفى
هنا في قريتي عاري .. ومجدي .. جل ان يخفى .

الى ان يقول :

عددت مدائني .. الفا ..
وغابت قريتي منها ..
فكانت كلها .. منفى !!

ولقد قال العزب ذلك في اخريات عام ١٩٦٣ ، واذا حدثته في النصف الثاني من عام ١٩٧٠ فانك تحس راحته الواسعة حين يلتقط نفسه من وسط زحام المركبات وضجيج الشوارع خلال رحلتي ذهابه وايابه من عمله بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بالزمالك بالقاهرة ، ثم يأوي الى عشه الهادىء القابع بين شيئين عتيدين خالدين في مصر وهما قنوات وترع وخضرة وطين وخراف وناموس الريف من ناحية ، واهرام مصر العريقة من ناحية اخرى . ولعله يتنفس بارتياح ويقول : ها قد عدت الى قريتي ، ثم تسرقه بعد ذلك قراءاته .

شيء آخر في العزب الفلاح المصري الاصيل هو التمسك والتعلق بالاسرة تماما كما يتمسك بطين مصر ونيلها ، نرى ذلك في فرحته الراقصة بالاهتداء الى ضالته المنشودة ، الملكة ذات التاج المفقود على راسها ، كما تقول قصيدة : « ثلاث اغنيات الى خطيبتي » (ص ١٥٧)، ولم يكن ذلك مجرد اعتزاز فنان بزوجته وحبه لها فحسب ، فكثيرون من الفنانين وغيرهم يحبون زوجاتهم ، لكنه الحرص على الانتماء الى الاسرة الصغيرة امتدادا للحرص على الاسرة الكبيرة الام وهي الارض ، آية ذلك انه يعود في قصيدة : « رسالة الى مسافرة » (ص ٧٥) فيؤكد ان وجوده لا يتضمن اي معنى بغير حبيبته تلك ، فهو بدونها يشعر بالجوع والاغتراب والحصار والشوق والظمأ :

حبيبتي ..
الظامىء الذي تركته على محطة القطار
تجمد الرؤية في عينيه حين ودعك
سحائب الدموع والغبار
ما زال حتى اليوم في مقهى المحطة الصغير
يستاف عطر الانتظار

وتتأكد تلك الروح لدى شاعرنا حين ماتت امه ، فجمع بين الحوار والوصف في قصيدته : « موت امي » وذلك في اخريات عام ١٩٦٤ ، ورايناه يردد :

« امي ماتت !! ، امي ماتت !! ، ماتت .. متنا !! ، الكل يباب !! ، الكل يباب !! »

ولعل في قراءة الاهداء الذي يتصدر المجموعة ما يلقي الضوء على كل ذلك ، انه يقول : « الى .. ع .. زوجتي وحبيبتي ، والى رائد ووائل احلى ما اعطتنا الايام » .

والشيء الخطير في تلك الظاهرة لدى محمد احمد العزب ليس في مجرد تعلقه بالقرية والاسرة فحسب ، كما انه لا ينحصر في قريته التي تفوح من شعره ، كما يحرص على الاعتزاز بها دائما ، وانما تتمثل هذه الخطورة في المزج الذكي بين الخاص والعام في هذه المجموعة وانتقاله بحرية وسهولة بينهما ، فبينما يبدو الخاص في قصائد :

« رسالة الى مسافرة » (ص ٧٥) ، « وثلاث اغنيات لخطيبتي » (ص ١٥٥) ، « وموت امي » (ص ٢١١) ، « والعودة الى القرية » (ص ٢٢٥) . حتى لتكاد تحس بالشاعر ينظر للعالم من خلال واقعه الخاص ، فاحساسه بالغربة الناجمة عن سفر حبيبته لا ينفصل عن احساس انسان القرن العشرين ـ لا سيما صاحب الحس الريفي كالعزب ـ احساسه بذوبان الفرد في دوامة المدينة المليونية .. القاهرة ، كذلك فرحه بالاقتران بحبيبته يعني تخلصه من حياة الوحدة والانفراد والصعلكة ، كذلك حزنه لموت امه وما يحمله من سخط على الموت كمصير محتوم للانسان ، ومن هنا يجد قارىء شعر العزب نفسه

مقدراً لتلك القدرة الفنية في خلط الخاص بالعام والمزاوجة بينهما .

ولقد اثارت نظري ـ منذ فترة ـ ظاهرة حديث الشاعر عن تجربته الشعرية ، وهي ظاهرة يمكن التماسها لدى كثير من شعرائنا المعاصرين كصلاح عبد الصبور ، واحمد عبد المعطي حجازي ، وكمـال نشات ، وبدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة وغيرهم ، ولقد توصلت في دراسة هذه الظاهرة (١) الى عرض حديث الشاعر عن معاناته في ابداع الكلمة وفي الابانة عما في نفسه ، والجديد هنا ـ كما يبدو لي ـ ان الشاعر المسافر في التاريخ يحرص على بيان رسالة الكلمة قبل ان يحرص على توضيح ما يكابده في سبيل ابداعها ، ولعل في قصيدة : ثرثرة شاعر لامنتمي (ص ١٠٩) ما يستشهد به في هذا المجال ، انهـا ـ فـي تصوري ـ تلخص ازمة اصحاب الكلمة لا الشعراء فحسب ، ولا العزب وحده ، لكن شاعرنا ـ وهو احيانا حاد التعبير ـ استطاع ان يبلـور ذلك ، انه يقول :

قلبي صعلوك يتغنى بالحب على كل الطرقات
ولساني افعى .. او حرباء
والكلمة كالطفلة عذراء

ثم يقول :

يـا ويحي ..
قد اعجبني الدور ..
وسقطت ككل الشعراء !!.

ولهذا فانه يعلن اختتام التمثيل واسدال الستار ، ثم يقول :

ولنبحث للدور الخالي ..
عن بطل .. يعرف في شرف .. ان يحمل عبء الكلمات !.

ولا يفوت قارىء هذه القصيدة خاصة ان يلتفت الـى تاريـخ كتابتها ، انه : ١٢ ـ ٤ ـ ١٩٦٧ ، واحيل القارىء الى نموذج آخر لهذه الظاهرة في قصيدة : « موعد مع الكلمات الخضراء » (ص ١٦١) .

واخطر ما يلحظه قارىء هـذه المجموعة الشعرية ذلـك الحس الدرامي الذي يبدو في كثير من القصائد . وقد نجد هـذا الحس الدرامي في حوار مسرحي في القصائد التالية :

« غناء في الغرف الداخلية » (ص ٣٣ ، و ٣٥) ، « وحـوار الرؤيا الاخيرة » (ص ٤٥) ، « ومأساة فاوست الجديد » (ص ٥١)، « وحوارية بين المريد والشيخ » (ص ٦٥) ، « والمحاكمة » (ص ٩٠).

ومن القصيدة الاخيرة نقرأ هذا النموذج :

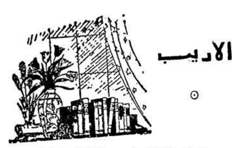
ها انا وغد مدان
ها انا في الحب مقطوع اللسان
شاعر مات وفي عينيه جوع للحنان
ويصيحـون :
« ابو الطيب قادم »
وابو الطيب يصغي ويقول ...
اسالوه ايـن كـان ؟
اين من خارطة الاحياء والاشياء كان ؟
سيـدي
كنت اغني في روابي المنتصف ... الخ .

والحوار الدرامي متعمد في القصائد المشار اليها كما يبدو ، لكنه غير مقصود في قصيدة : « ثرثرة شاعر لامنتمي » وخاصة في تلـك الابيات (ص ١١٢) :

الليلة نختتم التمثيل
ولنسدل فوق حطام المشهد الف ستار وستار
فالبطل الواحد قد مات
ولنبحث للدور الخالي

١ ـ في مقال لي بمجلة « الاديب » لا اذكر تاريخه .

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
فـي الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنـى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابهـا سواء نشرت ام لـم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلـة

●

تلفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩
Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البـير اديـب

عن بطل .. يعرف في شرف ان يحمل عبء الكلمات !.

انك تحس وانت تقرأ هذه الابيات ان صوتا آخر هو الذي يتكلم وان الشاعر هو الذي وجه هذا الصوت فقط واتاح له دوره في المشهد التمثيلي .

ويجد العزب نفسه مطالبا من قرائه بخطوة جديدة حتى لا يستسلم للجمود الذي يتعرض له المعنيون بفنهم ، هذه الخطوة هي كتابة المسرحية الشعرية ، انه مطالب بولوج فن المسرحية الشعرية ، وامامه فرصة اختيار اطار المسرحية ذات الفصل الواحد .

والنظرة العامة لمسافر في التاريخ تحيطنا علما بما يحس به الشاعر كشاب من شباب هذا الجيل فهو ذو احساس كامل بقضايا شعبه ، وهو يفلح في نقلنا لجو المعركة وتصوير احساسه بها ، وذلك ما يذكرنا ببراعة الروائي العربي نجيب محفوظ في تصوير الاثار النفسية والمادية لغارات الحرب العالمية الثانية في رواية **خان الخليلي** ، نرى ذلك هنا في قصائد :

« اغنية الى بيان عسكري » (ص ١٩) ، « واغنية للمقاومة » (ص ١١٣) ، « والليل والغارات » (ص ١١٧) ، « والشهيد » (ص ١٢١) ... الخ .

وهو يحتج احتجاجا صارخا وثائرا في وجه السلبية ولا انتمائية الجيل ، ولهذا فانه يوجه نقدات لاذعة لا يجيدها الا لسان سليط حقا ، وتطور هذه النقدات الى التمرد الذي قد يحطم كل شيء في طريقه ، والشاعر - في تصوري - هنا قد فقد هدوءه الذي تميز به خلال تناوله للقضايا العديدة في شعره ، لقد كان سر نجاح العزب في معالجة قضايا المجموعة يرجع - فوق مقدرته الفنية وتمكنه من مساري الكلمة والموسيقى - الى هدوئه وموضوعيته واسلوبه العلمي في الاقناع، الا انه حين يصل للتمرد يفقد قدرته على الاقناع على الرغم من انه ينجح في لفت نظرنا الى ما يريد ، لكنه لا يكمل شوطه ليصل الى هذا الذي اراده ، نجد ذلك في قصيدة : « مراثي المزيفين وعتابية » (ص ١٤٣) ، ويتجلى ذلك بوضوح في احتجاجه على الموت في قصيدة « موت امي » .

ثم انه يتمرد على الجمود امام المناسبات ومعاملتها بمنطق واحد ، لهذا فان تمرده امام المناسبات التاريخية كان تمردا فعالا يحكمه منطق، وتدعمه حجة ، ويشده هدف يبدو ذلك في قصيدة « ٢٣ يوليو ١٩٦٧ » انه يقول مثلا :

يا ليت شيئا امهلك .

كما يقول :

جئتنا
يا ايها الحلم العظيم
قبل ان نكتب شعرا لصباحك
قبل ان نرسم لوحات انفتاحك ... الخ .

ثم يقول :

نحن لن نلقاك الا فوق سينا
نكتب الشعر لعينيها .. ولك

وهكذا كان تمرد الشاعر ذا وجهين احدهما لم يوفق الشاعر فيه الى بلوغ اخر الشوط في مرحلة الاقناع ، وثانيهما تاريخي وفق فيه الشاعر الى حد كبير .

على ان ذلك كله يبدو من خلال نفسية شفافة محبة فيها تيقظ وذكاء ومقدرة على التعبير .

ولقد قرأت هذه المجموعة اكثر من مرة ، وفي كل مرة كنت اجدني اقرأها من اليسار الى اليمين على عكس ترتيب الكتاب ، وسر ذلك ان المجموعة رتبت ترتيبا تنازليا لا تصاعديا ، فتبدأ المجموعة بقصائد ١٩٦٩ ف ١٩٦٨ ، ف ١٩٦٧ ... حتى ١٩٦٣ .

وقراءة المجموعة من اليسار الى اليمين تتيح للدارس فرصة التعرف على ملامح تطور العزب منذ ١٩٦٣ حتى ١٩٦٩ أو بمعنى آخر انتقاله من : « ابعاد غائمة » (١٢٤ صفحة - مطبوعات المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب - ٧٢ - الكتاب الاول ١٨ - القاهرة) ، الى : « مسافر في التاريخ » وبهذه المناسبة فان تعليقا موجزا في جريدة الاخبار المصرية بعد صدور المجموعة وصف الديوان الاول او المرحلة الاولى من شعر الشاعر بالرومانسية ، والديوان الثاني او المرحلة الثانية من شعر الشاعر بالاتجاه الفلسفي ، وهذا الوصف او التصنيف فيه نظر - كما يقولون - فالفلسفة يجدها قارىء الديوانين على حد سواء ، كما ان قصائد الديوان السابق لم تكن كلها رومانسية بل كان منها الكثير الذي تخطى به الشاعر عتبات الرومانتيكية واخذ يستعد لولوج عتبات الواقعية الانتقادية وخصوصا تلك القصائد ذات المضمون الاجتماعي السخي والتي فاز بها الشاعر - او ان شئت قلت : حجز الفوز بالجائزة الاولى لنفسه على مدى سنوات عديدة - في مسابقات الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بالقاهرة .

وارجع الى تطور شعر الشاعر لنجد انه كان ينبغي على قصائد المجموعة ان تجيء مرتبة وفقا للتسلسل المنطقي لهذا التطور . ومن هنا كان رأيي في قراءتها من اليسار الى اليمين ، ولقد احسست - وانا اسلم نفسي للمسافر في التاريخ - بمنعطفين خلال مسار الرحلة .

يقطع المنعطف الاول بعد حصاد عام ١٩٦٥ ، ومن هذا المنعطف تلتفت الى الخلف - وانت مسافر في التاريخ - لتجد سمات بقايا المرحلة الفاصلة في تطور شعر العزب ، حين اراد ان يلج عتبات الواقعية الانتقادية ، وهو يغسل يديه مما علق بهما من آثار رومانتيكية ، تجلت في قصيدتيه : « العودة الى القرية » ، « وثلاث اغنيات الى خطيبتي » ، وكانت قصيدة « موعد مع الكلمات الخضراء » ابرز هذه الطائفة من القصائد .

اما المنعطف الثاني فيبدأ منذ حصاد ١٩٦٦ حتى نهاية حصاد ١٩٦٩ وفيها تتجلى الواقعية النقدية لدى الشاعر منذ اللحظة الاولى ، ويستقر فيها العزب فوق ارض ثابتة ، ويحسن هنا ان اشير الى قصائد حصاد عام ١٩٦٦ اول هذه المرحلة وهي : « بكائية من شاعر جبان » (ص ١٣٩) ، « ومراثي المزيفين » (ص ١٤٣) ، « ورسالة الى قاتلي » (ص ١٤٩) ، والبارز من هذه القصائد كثير لكنني اكتفي بالاشارة الى واحدة منها ، وهي التي حملت اسم المجموعة ، وقد كتبها الشاعر بعد مرور اكثر من نصف عام على النكسة اي في ١١ - ١ - ١٩٦٨ ، وهذه القصيدة هي : « مسافر في التاريخ » ، انه يبدو ثائرا ، ساخطا ، جريح الكرامة ، والاحساس ، متشائما ، يدعو للصلاة للسيف وبالسيف ، كما يتصور انه فقد انتماءه الحضاري ، وان الناس تسمه انه بلا عصر ، كما يشعر بالعار والخجل والغثيان والقهر والحزن والخوف يقول :

المومياء تحركت
لا تقعدوا كالمومياء
العصر عصر الفاتحين وليس عصر الادعياء

ويخاطب الجيل المعاصر :

منكم .. وان أحسست فيكم كل عار الانتماء
منكم انا .. يا أيها الجيل الخواء
لو ان فيكم خائنا للامس كنت انا الخئون
لو ان فيكم خائنا .. فانا اكون
اني اخون غروركم .. وغباءكم
اني اخون !
اني اخون !
اني اخون !

واذا كانت المجموعة الشعرية تتضمن منعطفين او تحمل سحنتي

اتجاهين اتجاه سابق واتجاه لاحق فان السمة العامة لهـذه المجموعة تبدو في استخدام الشاعر الاسطورة استخداما جيدا ، ونفوره مـن التعبيرات الخطابية والتقريرية المباشرة كما تبدو في تخلص الشاعـر تخلصا تاما من قالب الشكل التقليدي وانطلاقه مع الشكل الجديـد للشعر ، يتكىء في ذلك ـ شأن كل الاصلاء ـ علـى مدخراته مـن التراث الشعري العربي وعلى متابعاته اللاهثة لكل جديد ، وعلى الرغم من انطلاقه مع الشكل الجديد الا انه ـ ولا عيب في ذلك ـ يتيح كثيرا من الفرص للقافية الموحدة ، واعتقد ان ذلك يأتي بعفوية تستمد مـن سليقته وذوقه الفني الرفيع واكتفي بالاشارة الى بعض نماذج ذلـك (ص ٥) من قصيدة حوار الرؤيا الاخيرة و ص ١٧٥ من قصيدة عـن الوجود ، وص ١١٩ من قصيدة اغنية للشلال الاعمى ، و ص ٢٢٦ من قصيدة العودة الى القرية ... الخ .) .

وأسال الشاعر بعد ذلك ، هل هناك ما يحول دون الجمع بـين الشكلين في عمل واحد ؟... اعتقد انه سيجيب مثلي : بلا .

واخيرا فلقد آن لي ان اقول اننا امـام ظاهرة شعرية خطيـرة لا تستحق الصمت عنها ، ان هذه الشاعرية توجب عـلى النقاد ان ينتبهوا لها ، لا ليسوقوا لها مواكب المديح وباقاته ومظاهراته فحسب، بل ليكيلوا لها ما يشاءون من نقدات ، ويحاسبوا صاحبها على كل مـا يقول ليكسب الشعر العربي بذلك كله علما جديدا من اعلامه .

ولقد لفت النظر بعض اخطاء ترجع للطباعة تنبه لها الشاعر قبل ان تخرج النسخة من يديه ، لكن هـذه الاخطاء لا تنال مـن جودة الطباعة وحسن الاخراج ...

الكويت **يوسف حسن نوفل**

مشهـورون منسيــون

تاليف فتحي رضوان نشرته دار « اخبار اليوم » في السلسلة الشهرية بالقاهـرة

كان آخر ما اخرجت المطبعة العربية في مصر من مؤلفات المحامي الكبير الاستاذ فتحي رضوان كتابه القيم « مشهورون منسيون » تناول فيـه سيرة سبعة من رواد الفكر العربـي الحديث في السياسة الوطنيـة والحركات التحررية على ضفاف النيل ، وقد لمعت اسماؤهم وجهودهم في مناوأة الاحتلال والاستغلال في الحكم والمعيشة والتعليم والاتجاه .

اوتي هؤلاء الرواد المفكرون شجاعة في الراي والتعبير عن ايمانهم بحق بلادهم في الحرية والسيادة القومية ، وحـق العقل العربـي الحديث في التطور والانطلاق من قيود واوهام عوقت تجديده وابداعه، فكان تاثيرهم قويا فيايقاظ الوعي والشعور بطغيان المحتلين والمستغلين.

اول السبعة المشهورين الذيـن لا يتساهم المثقفون والعارفـون بحقائق التاريخ المعاصر هـو المجاهد الكبير محمد فريد الـذي تصدى لتحرير الفكر والوطن بما اوتي من علم وقدرة على الكفاح غيـر عابىء بتراث الزعامة ووجاهة الوظيفة وانما انصرف لما خلق له من هذا الجهاد مقيما في بلاده او مغتربا من اجلها لاكمال الرسالة الوطنية التي حملها زميله الثائر مصطفى كامل ناقلا للغربيين فـي الصحافة الاجنبيـة والمؤتمرات الثقافية صوت مصر بقلمـه وتفكيـره وصداقته لاعـداء الاستعمار من الكتاب والزعماء .

وآخر السبعة المشهورين الذين نوه بفضلهم الاديب الصادق فتحي رضوان وهو من اندادهم في جيله ـ هو الدكتور محجوب ثابت الذي ملأ الصحف والمسامع باخباره وخطبه في السياسة والثورة اذ كـان يقحمها في كل حديث ومقال ، ويخوض فيها بكل مجلس وموضوع ولو كان طبيا او فكريا ، ولولا طيبة القلب التـي شاعت فـي الشخصية المحجوبية كما ذكر المؤلف لكان اثر صاحبها في الحركات التحررية على ضفاف النيل اقوى من آثار الذين تبجحوا فـي المكانة الاجتماعية ، والمناصب الحكومية ، على مشاركة في الكفاح من حين الى حين .

وبين السبعة المشهورين ازهريان بارزان فيما سبقا اليه بالـرأي الجريء الذي ترك دويا في تطور الفكر العربـي الحديث ، ولعـل ابعدهما صيتا واثرا هو الدكتور طه حسين الذي انبتته مصر اديبـا وعميدا للادب اما الثاني وهو اسبق منه الى الفكرة الحرة في التاليف فهو علي عبد الرازق الشيخ الاديب الذي خرج من بيت النعمة والتقوى ومن حلقات الازهر ـ وكان متهما بالجمود والتقليد ـ فقد طلع المعلم القاضي علي عبد الرازق بكتاب خطير في زمانه ومكانه ، تضمن بحثا علميا متصلا باحكام الدين وبما ينبغي للمسلمين مـن تطور في الحكم والاقتصاد والاجتماع ، ففضب الملك فؤاد في ذلك الحين لظهور هـذا البحث وفي ظروف سياسية عصيبة كان يرجو فيها ان يكون الخليفـة الموعود ، اذ ان الحديث عن الخلافـة الاسلامية وحكومتها كان شائعا يتناوله الناس بالتساؤل والتاويل ، وقد تضمن البحث في « الاسلام واصول الحكم » تهكما على الذين استبدوا بالشعوب وضيقوا علـى العقول اذ حرموا عليها النظر في اساليب الحكم ، فعد الملك فؤاد هـذا التاليف العنيف عملا سياسيا يتصدى للخلافة والخليفة وهو الطامـع فيهما كغيره من الملوك المسلمين في عصره ، وكان جزاء المؤلف الباحث في « الاسلام واصول الحكم » تجريده مـن شهادة العالمية عام ١٩٢٥ وتسريحه من الوظيفة في القضاء .

وفي هذا الامر يكون الاستاذ علي عبد الرازق الذي اطلعه الازهر كما اطلع طه حسين دليلا على ان الجامعة او المدرسة فـي الشرق او الغرب لا تبدع العبقرية والحرية وانما تهيء الطالب الموهوب لنبـوغ تتفجر فيه الافكار المبكرة وتتوقد الآراء ، فما اروع مـا كتب الاستاذ فتحي رضوان في سيرة هذا الرائد المفكر الذي لم يعبأ بغضب الحاكم يوم جرده من القابه العلمية وحقه في الوظيفة والراي الصراح .

وما اجدر الكاتب الكبير فتحي رضوان بتقديم هؤلاء السبعـة

المشهورين للقراء التواقين لامثالهم وبخاصة للجيل العربي الصاعد الذي لا يتلفت الا قليلا لجهاد الرواد السابقين الى غرس الوعي الفكري والقومي في مصر والعالم العربي ومـا كان هؤلاء وانداده‍م بمنسيين لدى الباحثين والدارسين وخير لهم ان يكونوا منسيين من ان تتناولهم اقلام متعسفة او منحرفة لا تنصفهم او تغطي على مآثرهم ، فمن حق التاريخ الحديث على الاستاذ فتحي رضوان الذي ارتبط كفاحه الوطني بهذا التاريخ ان يقوم بهذه المهمة الشاقة في القاء الضوء على الخفايا والملابسات في جهاد الرواد المفكرين فقد اتسعت جوانب ادبه في فنون التعبير من المقالة الى الدراسة ومن القصة الى المسرحية والسيرة وهو الموثوق برأيه واطلاعه ومراسه ، وحسبه فضلا في معارك التحرير والبناء للامة والوطن انه كان على الحداثة وفي عز طموحه وجهاده على ضفاف النيل سباقا الى الفكرة العربية في نهضتنا الحديثة .

دمشق — وداد سكاكيني

●

احمد بن فارس : حياته ، شعره ، آثاره

تاليف هلال ناجي — ٦٨ صفحة — مطبعة المعارف ببغداد

هلال ناجي ، شاعر ، اديب ، ناقد ، محقق ، عرفه القراء العرب من خلال نتاجه الادبي الاصيل ، وسمعته المحافل الادبية وهو يغني وينشد ، فطربت لصدق حروفه الملتزمة ..

ولقد ولج كل ميادين وفنون الادب فكان له ما كان من آثار تناولتها الاقلام القمم بالتقييم والاكبار ..

وليس غريبا ان تتجاوز تاليف الاستاذ هلال رقما طيبا ، في حين يبقى الكسل والكسد سمة ملازمة لبعض من اساتيذنا الجامعيين ..

وبعد .. لقد اتجه صاحبنا ، مؤخرا ، نحو التراث ، بعد ان هاله وجود الاف المخطوطات العربية تشكو التراب والصدا والاهمال في خزائن الغرب والشرق .. وكان ان شمر عن ساعد الجد ونهض لتحقيق جملة من المخطوطات منها جيش التوشيح للسان الدين الخطيب والعمدة للهيتي وغيرها .. وغيرها ..

وقد اصدر حديثا دراسة بعنوان : احمد بن فارس — حياته — شعره — آثاره .. مهد فيها لعصره واشار الى الحالة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والادبية للمجتمع الاسلامي في العصر الرابع الهجري حيث عاش ومات ابن فارس .. وتناول سيرة حياته من المهد الى اللحد . ورجح عام ٣١٢ للهجرة سنة لولادته واثبت انه عربي الارومة شديد العصبية للعرب والعربية .. والمح الى مذهبه وحبه لآل البيت وتكلم على شيوخه وعدد ابرز تلاميذه ومنهم الصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمداني ومجد الدولة والمقرىء وغيرهم ..

وقدم المامة موجزة بخلائق ابن فارس وسجاياه الطيبة مستعينا بنتف من آثاره ..

وعقد المؤلف فصلا تكلم فيه على شاعرية ابن فارس ثم تناول آثاره المطبوعة والمخطوطة والمفقودة وجاء استقراؤه لآثاره دليلا بارزا على مدى قدرته على البحث والتقصي ، ولعله اشمل بحث قرأته عن آثار هذا العالم الفذ ..

وفي فصل ابن فارس نحويا .. اعرب عن اسفه لعدم امكان رسم صورة واضحة عن ارائه في النحو ، بسبب فقدان اهم مصنفاته النحوية ، واستعان بكتاب « الصاحبي » ليبين اراء ابن فارس ، وخلص الى القول انه لم يقوقع نفسه في اطار مدرسة نحوية معينة ، ورغم انه كان اميل الى الكوفيين — لكن ذلك لم يمنعه من الاخذ ببعض اراء البصريين وترجيحها ..

وبالنسبة لارائه في اللغة ، اشار الى ان منهاجه تمييز بايراد الواضح الصحيح من كلام العرب وترك الوحشي المستغرب .. وفي ختام الكتاب الح الى انه سيفرد كتابا مستقلا لدراسة ابن فارس اللغوي ..

ثمة ملاحظات بسيطة عن هذا المؤلف تتلخص في :

١ — ذيل كل فصل باسماء المظان التي استقى منها مادته ، وحبذا لو جمعت كلها في ختام الكتاب تلخيصا من تكرار بعضها مرات عديدة.

٢ — اثبت المؤلف نصوصا نادرة وجيدة من مصنفات ابن فارس (ص ٤١ ، ٤٩ الخ) ولو جمعت في نهاية الكتاب كملحق لزادت فوائدها ..

٣ — خلا الكتاب من اشارة الى دارسي ابن فارس من المعاصرين..

وبعد .. لقد اضاف الاستاذ هلال الى المكتبة العربية ، كتابا تعتز به ، ونامل ان يكون بداية لنشر المصنفات المخطوطة لابن فارس ، واعادة نشر بعض المصنفات المطبوعة بدون تحقيق علمي ، بعد تحقيقها بشكل يليق بمكانة ذلك الرجل العظيم .

بغداد — جليل العطية

●

خمسة أيـام في ماليزيـا

تاليف عبد العزيز الرفاعي — ٨٤ صفحة — المكتبة الصغيرة — مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بالرياض

ادب الرحلات ادب ثري وسري مما عرفه ادبنا العربي القديم ، وتجلى في رحلات الرحالة العرب الكثيرين ، الذين كان من قمتهم ابن جبير الاندلسي المتوفي عام ٦١٤ هـ : ١٢١٧ م ، وابن بطوطة المغربي (٧٠٣ — ٧٥٧ هـ : ٢٤ من فبراير ١٣٠٤ — ١٣٥٦ م) ، الذي جاءت اوصاف رحلته بمثابة خزانة تحفل بمادة غنية ، لا في مجال الجغرافيا التاريخية او تاريخ عصره فحسب ، بل عبرت عن جميع مظاهر حضارة ذلك العهد ، وهي لا تمثل وثيقة ممتازة لتجربة فردية فحسب ، بل تقدم كذلك نموذجا صادقا لافكار وتصورات مواطن اسلامي ، وهو آخر رحالة عربي كبير ، كما يقول كراتشوفسكي (١) .

وعرف الادب العربي الحديث كذلك ادب الرحلات ، ممثلا في كتابات ادبائنا ، وصفا لرحلاتهم الشائقة حول العالم ، وكتاب « رحلة الربيع » لطه حسين ، وكتاب « حول العالم في مائة يوم » لانيس منصور ، وكذلك كتابه الآخر « بلاد الله خلق الله » ذائعة .

وآخر كتاب في ادب الرحلات ظهر في المكتبة العربية هو كتاب اليوم .. « خمسة ايام في ماليزيا » بقلم الكاتب العربي الكبير عبد العزيز الرفاعي . وهو كتاب جد شائق وممتع ومفيد معا ..

خمسة ايام مدة قليلة في عداد الايام ، ولكن حصيلة تجربتها الفنية والادبية كبيرة وضخمة ، مما يتضح لنا في هذا الكتاب ..

والصور الفنية الرفيعة ، التي كتبها الرفاعي في وصف الرحلة تكاد تطمس العديد من الصور الادبية الرفيعة المشهورة لكتاب الرحلات .. فالبلاغة هنا طرازها العالي الرفيع لا مثيل له . والفن بالوانه وظلاله وايحائه وصوره لا حد لجماله وروعته .

---

١ — ٤٣١ و ٤٣٣ تاريخ الادب الجغرافي العربي — طبع القاهرة.

وكل ذلك لا يغطي على حقائق الحياة والناس والكون في هذه الرقعة من العالم .. فاللقطات الفنية المأخوذة من مشاهد الرحلة معبرة عن صدق واقعي واضح ، وهي تكاد تمثل ارفع المناظر الطبيعية والاجتماعية والانسانية معا ..

حلاق كوالا لمبور : هل سمعت به ، او قرأت عنه ؟

هنا اجمل وصف يمكن ان تقرأه ، اخذتني روعته وسحره ، ولا ادري لماذا ؟ انه لا يمكنني ان انقل لك خلاصة عنه ، استمع ان شئت الى عبد العزيز الرفاعي نفسه يرسم لك صورة عنه ..

سأضيف حلاقا واحدا فقط الى الحلاقين الذين حصلوا على شهرة عالية ..

أليس هناك حلاق بغداد ، او مزين بغداد ؟

أوليس هناك حلاق اشبيلية ؟

كذلك كان لي لقاء عملي مع حلاق كوالالمبور .

حينما وصلت كوالالمبور كنت اشعر انني قد صرت اشعث اغبر ، كما قال شاعر الغزل عمر بن ابي ربيعة ..

ألم تتقاذفني المطارات اكثر من ثلاثين ساعة ؟

لقد كنت اتصيد فرصة لالتمس حلاقا ، وكان لي ما اردت بعد لأي ..

تركت الفندق ، ومشيت خطوات التمس حلاقا ، فوجدته ، ودلفت الى محله الانيق ، فساقني الى كرسيه .. المتحرك الوثير ، واشرت الى رأسي وذقني ، ولم اكن اظن انني اسلمها اليه ليفعل كل ما فعل .

بدأ يعمل مقصاته في رأسي .. بداية طيبة ، كأية بداية لأية عاصفة عاتية .. ثم ..

فجاة وبحركة سريعة خاطفة انزلق الكرسي المتحرك ، فاصبحت ممددا فيه ، وكأنني على سرير العمليات الجراحية ، ولم احر جوابا ، ولم احرك ساكنا ، بل استلطفت الله في سري .. وكنت في حالة توجب علي استعمال « العقل التام » .. فقد برق في يده موسى حاد ، همدت على اثره حركاتي ، وجرى الموسى على وجهي بالطريقة التي كانت تحلو له ...

هل استمر في نقل الصورة بريشة الرفاعي نفسه ، دعني انني مستغرق في ضحك شديد ، وفي متابعة دقيقة لتفاصيل المنظر ، وسادعك انت ايها القارىء تتابع الوصف ، وتلاحق المشهد الغريب ، وانت تقرؤه في « خمسة ايام في ماليزيا » .. فليس هناك كتاب جعلني مشدودا اليه ، وتابعا له ، كهذا الكتاب . وان ابيت الا ان انقل لك الصورة ، فانتقل معي الى آخرها .. « اخذ الحلاق المحترم، وهو لا يبعد في شكله العام عن كبار الملاكمين ، يكيل لي ضربات متتاليات بما يملك من قوة ، كان ينهال بها على كتفي ، وعلى ظهري ، فوجئت اول الامر ، ثم ادركت انه نوع من الكبوس ـ التدليك ـ وحينما وقفت مترنحا ، كان هناك من يوالي عملية اللكم الفني ، انه صبي الحلاق ، الذي يبدو انه سيكون ملاكما بارعا ذات يوم ، او حلاقا » .

ولانقلك الى مشهد آخر في كتاب الرحلة هذه مدينة بينانغ ، هل سمعت عنها ؟ اظنك لا ترضى بوصف لها ، اللهم الا اذا كان الرفاعي هو الذي دبجه وحبره ..

« تبعد مدينة بينانغ عن كوالالمبور حوالي ٨٠ ميلا .. وهي ميناء يجثم على شاطىء البحر ، وكان الطريق اليها ، كأي طريق آخر في ماليزيا ، مفروشا بالسندس الاخضر ، في حراسة اشجار عمالقة من المطاط والقصب والخيزران والفوفل والنارجيل ، وشتى اشجار الفاكهة ..

كانت الحشائش الخضراء تملأ حفافي الدرب ، وكأنما كانت تقتتل على الظهور .

لم نشعر بالثمانين ميلا التي قطعناها في الطريق ، كانت الجنة تحف بنا عن يمين وشمال ، وكانت قطوفها الدانية تدعونا احيانا فنترجل من سيارتنا لنشتري اشياء من الفواكه العجيبة .

واخيرا وصلنا المدينة ، واتاحت لنا فرصة البحث ان نستعرض ساحل المدينة الساحر . كان ساحلا مستديرا ، وكانت المتنزهات والاستراحات الجميلة تترامى على الشاطىء .. الخ » .

وهل عرفت شيئا عن ماليزيا الطبيعة والناس ؟ يقول الرفاعي :

« كل شيء جميل وحلو .. الوجوه اعرفها . انها وجوه حبيبة الانف الذي يمتد افقيا على شفة عريضة بين خدين بارزين تطل عليهما عينان سوداوان صفيرتان فيسدل عليهما شعر اسود فاحم مستقيم ، تحته رأس صغيرة عريضة ، تحملها قامة قصيرة او متوسطة الطول غالبا . اما اللون الغالب فهو اللون الاسمر او القمحي واما اللباس ...

والنسوة في ملابسهن التقليدية يرتدين « الكباية » بدلا من القميص ، او هي قميص نسوي ، يلف الخصر في احكام ، ويظهر اعالي الصدر ، وتحته الفوطة ، على ان معظم النسوة المتحضرات يرتدين الآن الملابس الافرنجية ، او يلبسن الفساتين على آخر طراز .

اما الشوارع فجميلة ونظيفة ومنسقة ، تطل عليها عمارات كبيرة، تحتها الدكاكين والمعارض التجارية حتى البيوت الشعبية الخشبية جميلة المنظر ، جذابة الشكل .

وكوالالمبور مدينة خفيفة الظل ، تقع داخل حديقة كبيرة غناء ، هي الطبيعة الماليزية ، حيث تطل عليك الاشجار والحشائش والازهار من كل صوب ، تسمح السماء دائما بالمطر ، فان لم يكن مطر فرذاذ يسير .. » .

رحلة الرفاعي ذات الخمسة ايام في ماليزيا تترك انطباعها على ذهن القارىء في كل كلمة مكتوبة ، في كل صورة مصورة ، في كل منظر وصفه المؤلف او رسمه على حد سواء ..

ويقول الرفاعي في مقدمة الرحلة :

« .. اعطتني الايام الخمسة حصيلة طيبة ، هي هذه الانطباعات التي اقدمها اليوم ، انها مجرد انطباعات شخصية ، لا تعدو ان تكون تذكارا متواضعا للايام الجميلة التي امضيتها في تلك البقاع الخضراء ، او تذكارا لاسبوع الافراح ، كما لا تعدو ان تكون ملامح خاطفة من مظاهر الحياة والنهضة في ماليزيا ، اختطفتها نظرات عابرة هنا وهناك، وسجلها قلم عجل .

وهذه الانطباعات التي انشرها اليوم عن ماليزيا ، انما تشكل جزءا من رحلة الى الشرق الاقصى ، وقد نشرت في صحيفة « البلاد » معظم فصول هذه الرحلة التي دامت شهرا بعنوان « ثلاثون يوما في الشرق الاقصى ... »

واحسب ان هذه الرحلة لن تتأثر كثيرا بعوامل الزمن الذي مر ، لان الرحلات عادة لا يأكلها الزمن ، فهي قصة ارتحال تظل لها حلاوة القصة ، وان لم يكن لها طابعها . ان رحلة ابن بطوطة زادها الزمن رونقا ، وزادنا بها اعجابا ، وتوقا الى الاستطلاع ما كان عليه العالم على ايامه ، ان الرحلات تتحول الى وثائق تاريخية هامة ، ولكنها وثائق طريفة خفيفة ، لا يطغى عليها وقار الوثائق ..

بيد ان شيئا واحدا هاما قد تغير بسرعة خلال السنوات التي مرت ، شيئا بودي ان لا اعترف بتغيره ، ولكن هل يتسنى لي ان افعل ؟ لقد تغيرت انا ، خلال هذه السنوات القصيرة .

ان قلم الامس كان اكثر شبابا ، فلاكن اذن مع الشباب ... »

وقد كانت هذه الرحلة الى ماليزيا في يوم الجمعة غرة جمادي الاولى من عام ١٣٨٥ هـ : ٢٧ من اغسطس ١٩٦٥ ، وكان الرفاعي عضوا في وفد سافر اليها ، وفي مقدمته معالي الشيخ محمد سرور الصبان الامين العام لرابطة العالم الاسلامي ، وفضيلة الشيخ عبد الله خياط المستشار بوزارة المعارف والخطيب بالمسجد الحرام ، والشيخ محمد البصراوي مدير عام الاوقاف آنذاك ، والسيد علي فدعق رئيس

بلدية جدة حينئذ ، ومحمود عارف ، وكان مشرفا على تحرير جريدة عكاظ وعضوا بمجلس الشورى .

وفي كتاب « خمسة ايام في ماليزيا » الكثير من المعلومات عنها .. وعن دخول الاسلام فيها ... سكانها عشرة ملايين نسمة ، ومساحتها ٣٣٧٧٠.. ك . م ، واتحاد ماليزيا يضم ١٣ ولاية ، والعاصمة الفيدرالية هي كوالالمبور ، ونسبة المسلمين فيها حوالي ٦٠٪ ، والدين الرسمي للدولة هو الاسلام ، واهم حاصلاتها الزراعة : المطاط والارز والشاي ، والبن ، والاخشاب ، والفواكه . واهم معادنها : القصدير ، والفحم ، والبترول . وقد اعلن استقلالها في ١٣ اغسطس ١٩٥٧ ، واعلن قيام الاتحاد في ١٦ سبتمبر ١٩٦٣ .

واخذ الاسلام ينتشر فيها منذ القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي ، وقامت ولاية « ملاكا » بدور تاريخي في نشره ، واول سلطان مسلم حكم « ملاكا » هو « راج كجيل بسر » الذي تسمى باسم محمود شاه .

وفي ايام الرحلة الخمسة افتتح مسجد نيقارا في كوالالمبور ، وقد صار المسجد الوطني الماليزي ، ويقع في وسط عاصمة الاتحاد الماليزي كوالالمبور ، ويسع ثمانية آلاف شخص ، وتكاليف انشائه عشرة ملايين دولار ماليزي ، واقيم في ساحة مساحتها ١٥ فدانا . وهو مزود بقاعة كبيرة للاجتماعات الاسلامية ، ويضم مكتبة ، وغرفة للملك وسلاطين الولايات ، وحجرة للامام ، وله منارة جذابة ارتفاعها ٢٢٥ قدما ، مجهزة بمصعد كهربائي ، عدا سلما لولبيا .

وماذا اقول عن الرفاعي ، وعن « خمسة ايام في ماليزيا .. » كتابه الحلو الجميل ، أو المنيس والبقوس ، باللغة الماليزية . هذا الكتاب الصغير في الحجم ، الكبير في المادة التي اشتمل عليها . انه صورة واضحة لوطن من مواطن الاسلام ، وحسبه ان يعرفنا ببلد اسلامي جميل عريق نحبه ويحبنا .

ولو أتيح للرفاعي ان يصدر باقي ايامه الثلاثين في كتب تصور البلاد التي طافها ، والمدن التي زارها ، والشعوب والدول التي رحل اليها ، لتجمعت لنا مجموعة جميلة ، تحدثنا عن الشرق الاقصى وبلاده حديث المشاهدة والرؤية والعيان ، حديث الادب والاديب الفنان الذي تظل لوحاته خالدة على مرور الايام .

تريما كاسي لعبد العزيز الرفاعي كما يقول الملاويون الظرفاء بلغتهم الجميلة . اي شكرا واي شكر .

الرياض **محمد عبد المنعم خفاجي**

•

البعد الخامس

ديوان شعر ـ مصطفى البدوي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

كنت استمع الى بضع كلمات من المذياع تتحدث عن الامل ومعناه الواسع العريض من جهة ، وما يسميه الفاشلون العجزة سوء الحظ من جهة أخرى . وبين الحديث كيف ان الانسان الحق هو الذي يحقق وجوده ويعرف مكانه في مجتمعه ، ويضع امامه هدفا ساميا يلاحقه باستمرار ، ودون كلل . وقبل ان تبرح هذه الخواطر فكري وقعت يدي على ديوان « البعد الخامس » للشاعر مصطفى البدوي ، فحملته اتصفحه . وكنت اعرف من قبل شيئا عن نشاة صاحبه والبيئة الاولى التي عاش فيها . فقد عاش هذا الرجل يعمل حدادا على الطريقة البدائية في البلدة التي انجبته ، والتي قذفتها الطبيعة في شمال سوريا قريبا من حلب ، وهي بلدة « الباب » . ولكن ذكاءه وطموحه وامله ، كل تلك الميزات التي تميز بها ، لم تتركه ينصرف الى مهنة الحدادة البدائية طويلا ، فاخذ يمارس شيئا من اصلاح الاجهزة الميكانيكية عن طريق مهنته هذه . ثم انتقل الى الحدادة المتطورة التي يسمونها الحدادة الافرنجية ، وبرع فيها ، واحس بعض المسؤولين بقدراته فعينوه معلما للحدادة في مدرسة الصنائع في حلب . وكنا قبل ذلك نسمع عن خطبه وجولاته في عالم الكلمة خلال الحملات الانتخابية التي عاشتها سوريا في نهاية النصف الاول من القرن العشرين .

وفجأة تعرفت على هذا الديوان الذي يحمل اسمه ، فعلمت انه قد خاض غمار الشعر الحديث فيه ، وعلمت كذلك ان له اشعارا اخرى نظمها قبله على الطريقة السلفية العمودية ، كما انه كتب مسرحية بعنوان « الارض لا تدور » لم تزل قيد الطبع . فوقفت مذهولة بعد ان جاءني دعم جديد يدحض قول القائلين بسوء الحظ وصعوبة الظروف . لقد كنت دائما ضد الاعتقاد بفكرة الحظ ، ومع الايمان بالطموح والامل والجد والسعي الى الاهداف السامية وحتى اللانهاية ، فوجدت برهانا جديدا على ما اعتقده صوابا .

ولانتقل الان الى بعض الحديث عن هذا الديوان من حيث محتوياته الفكرية ، والطريقة الفنية التي عرض بها شاعرنا هذه المحتويات .

لم يقتصر « البعد الخامس » على موضوع واحد من الشعر ، وانما حوى اثنتين وثلاثين قصيدة ومقطوعة ذات موضوعات متنوعة واطوال مختلفة . كان فيها القومي والاجتماعي والعاطفي .. وجاءت من غير فصل بين انواعها ولا تبويب . وقد تفلت الشاعر خلالها من قيود البحر الشعري ذي التفعيلات الرتيبة ، ومن قيود القافية الموحدة كما اشرت ، ولكنه كان بارعا في توفير الموسيقى الشجية لكلماته ، فاعطى بذلك قصائده مقوما اساسيا من مقومات العمل الشعري في اطاره الحديث ، لا سيما وان اخشى ما نخشاه على شعرنا الحديث هو ان يضيع قيمة هذا النغم الموسيقي الجذاب الذي لا بد من توفره في اي شعر .

واذا تركنا ناحية الموسيقى والوزن لننتقل الى اطار الصورة ، وهي عنصر بارز كذلك من عناصر العمل الشعري ، فاننا واجدون ما يرضينا منها . فقد كان شاعرنا ولوعا بالصورة مبدعا فيها ، ولنقف عند بعض ما اورده من صور جذابة لناخذ الدليل على ذلك . فها هو في قصيدته « نيسان » يبدع في عرضها وتلوينها ، فيجعل الارض في حالة انتظار وتشوق الى هذا الشهر الجميل ، الى دفئه ووروده ، الى تمتمات عطره والحانه :

طال انتظار الارض يا نيسان
للدفء للـورد
لتمتمات العطر للالحان

اولا نرى كيف نقل لنا الصورة الشمية الى صورة سمعية ناعمة في البيت الاخير ، فمرنا بهذا التنوع الفني الذي اشرك نظرنا وشمنا وسمعنا في تذوقه . وفي قصيدة « اللحظة الثمينة » يقول :

خرائبي العتيقة
تصيب عين الشمس بالذهول
واملي المسحوق باحتقار
عاثت بـه الريـاح
وانجدلت حدائقي حبال
مصبوغة بالذل والنجيع
وانتحر الربيـع
في مقلتي في لحظة انحدار

فليس الناس ولا الارض كلها فقط تذهل لخرائب شاعرنا العتيقة،

وانما عين الشمس على علوها وبعدها اصابها هـذا الذهول . وامل الشاعر انسحق وذرته الرياح ، وحدائقه انجدلت حبالا ملونة بالـذل والدم . وانتحر الربيع في عينه ، في لحظة من لحظات فشله .

ونقرأ كذلك في قصيدة « صفارة المعمل » الصورة التي عبر بها عن احساسه بتطاول الزمن وتباطؤ حركة الساعة :

والساعة المصلوبة الذراع
كسلحفا جائعـة
على طريق صاعد طويل

فكأن الساعة صلبتذراعها فلا يتحرك ليعلن مرور الوقت، واصبحت سرعة هذه الساعة كسرعة سلحفاة جائعة تسير في طريق صاعد طويل. وحين أراد بعد ذلك ان يصور تعب كاهله لما عليه مـن اعباء الحياة ، قـال :

وكاهلي العتيق يصر كالشعير
تحت رحى يديرها عفريت

تلك بعض النماذج الشاهدة على جمال الصورة عنـده وتنوعها وتلونها واستقاء بعضها من معطيات العصر الذي نعيشه .

ولننتقل الآن الى ظاهرة اخرى نجدها في مضمون شعره لا فـي شكله ، تلك هي ظاهرة التشاؤم من بعض مزاعم التقدم في هذا القرن العشرين الذي نعيش فيه ، والذي يظن الناس انه وصل الـى درجة عالية جدا من الرقي . اما شاعرنا فلا يكاد يراه متقدمـا ولا متحضرا كما يزعم الزاعمون :

يا عالما ما زال في ترحاله الطويل
لـم يخط خطوتين
تعشق الغباء وادعى
بانـه ارتقـى

وكان غبار التشاؤم ياتيه ممـا يعانيـه وطننـا العربي مـن سوء وضنك ، فهو في قصيدته « نداء الارض » يقول :

خذوا بيدي
فان الثعلب النشوان ادمى مقلة الاسد
ولن يبقى علـى احـد
ركامات من الاهوال تلوي كاهلي تعبا
وانهار من الاشواك تجري في شراييني
أنـا الحق الذي سلبا
أنـا العطر الذي سكبا

فالثعلب الصهيوني قـد ادمى مقلة الاسد العربي وكـاد يقضي عليه ، ففدت كل قيم العرب وممتلكاتهم حقوقا مسلوبة وعطورا مراقة بعد تلك الهزائم المتتالية على ارض فلسطين طوال عشرين عاما . ولـذا فان الارض قد أحست احساسا شديدا بوطأة هذه العشرين :

أحس ضراوة العشرين بالانياب تنهشني
أحس هزائم العشرين بالاقدام تسحقني

وفي طيات هذا الاعصار من التشاؤم تطالعنا نغمة امل في قصيدة « الجندي العربي » وهو رأس الحربة في كـل نضال تحرري ، وجسر العودة الى الامل المنشود ، الى الوطن المفقود . فلم لا يجله الشاعـر ويحترمه سواء انتصر او اندحر . لانه حين يندحر لا يكـون الاندحار بسببه ، وانما يتم ذلك لظروف خارجة عن طاقته وارادته وامكاناته :

اجلك يـا ايها المنتصر
اجلك يـا ايها المندحر
اجل رماد الحديد اللصيق على مقلتيك
... عرفتك .. لا .. لا ..
فما زال فيك مجاهيل تروى
تبز الاساطير تسخر منها

فمثلك لا يعبـا
اذا جرحتـه الظنـون
ومثلـك لا يهـدأ
اذا صارعته المنـون

تلك بعض من ملامح افكار شاعرنا واحساساته في المجال القومي.

واذا انتقلنا الى الزاويـة الاجتماعية ، فسوف نـــراه يصور التناقضات التي يضمها مجتمعنا في قصيدة « صور » ، وهذه القصيدة مترابطة يصعب الاستشهاد بقسم منها دون قسم فمن شاء فليرجـع اليها في الديوان ص (١٠٥) .

وبعد ان عرفنا شيئا عما حواه الديوان مـن موضوعات وافكار ، وما تميزت به اشعاره من موسيقى وصور جميلة احب ان اقف وقفة قصيرة على شيء اسميه (اثر مهنة الشاعر الاولى في الفاظ شعره) وآخر اسميه (اثر نزار القباني في هذه الالفاظ) .

فقد استطعت ان المس الاثر الاول واضحا في بعض عباراته مثل:

اغوص فـي عيونها
اعب مـن جنونها
ما يجعل الفولاذ كالعجين

ولا ريب ان هذه العبارة الاخيرة واضحة التأثر بمهنة الحدادة . ومن اعرف من الحداد بشدة حرارة النـار التي تلين الفولاذ وتجعلـه كالعجين . وقد رأينا حديثه الى الجندي العربي في قوله :

اجل رماد الحديد اللصيق على مقلتيك
علـى كتفيـك

ونراه يستعمل عبارة :

وانهر من حديد
ذابت ولـم تبـرد

ويعنون بعض قصائده بمثل « مطرقـة الصمت » و « شفـة الازميل » . وواضح دور المطرقة والازميل في عالم الحدادة . كل ذلك اراه تعبيرا واضحا عن تأثر شاعرنا بمعطيات مهنته الاولى من الالفاظ. ولا اعتبر ذلك عيبا في شعره ، بل هو برهان ذكائـــه وعبقريته التي نقلته من مطوع للحديد الى شاعر غنائي ومسرحي ، يطوع الكلمة ، ولا تستطيع الظروف الصعبة ان تكبت له عبقريته ، فتغلب على تلــك الظروف وراح يسمعنا الحانه متحديا كل العوائق والصعاب .

ولانتقل الآن الى ما اسميته (اثر نزار القباني فـي الفاظه) ، وربما اتضح معنى هذه التسمية اذا تذكرنا قاموس نزار الذي يكثر من الفاظ الجنس في جميع موضوعاته الشعرية لا في مجـال الغـزل المكشوف وحده . وقد سار مصطفى البدوي على هذا الغرار فاكثر من مثل تلك الالفاظ في سائر موضوعاته . وقد يكون ذلك ناشئا عن كثرة ما قراه للشاعر القباني قبل ان يخوض غمار النظم في الشعر الحديث، فتركت تلك القراءة بصماتها واضحة على بعض جوانب ديوانه ، وكانت بصمات غير مستحبة .

ولا يسعني في نهاية هذه الجولة بين صفحات الديوان الا ان اعبر عن اعجابي بما حواه من افكار وصور وموسيقى ، سكبهـا الشاعـر باسلوب قوي ولغة متينة توحي مع ما عرفناه عن حياته الاولى ، بمـا تمتع به شاعرنا من عبقرية فذة . فعسى ان يستمر هـذا النبع فـي تدفقه ، وان يتخلص من تلك التأثرات التي بدت فـي شعره ليواصل ارواء قرائح الناشئة معطيا اياها اكبر برهان على تحدي العبقريات لكل العوائق والصعوبات ، وكفرها بمـا يسميه الضعفاء مـن الناس : سوء الحظ .

دمشق — لطفية الشهابي